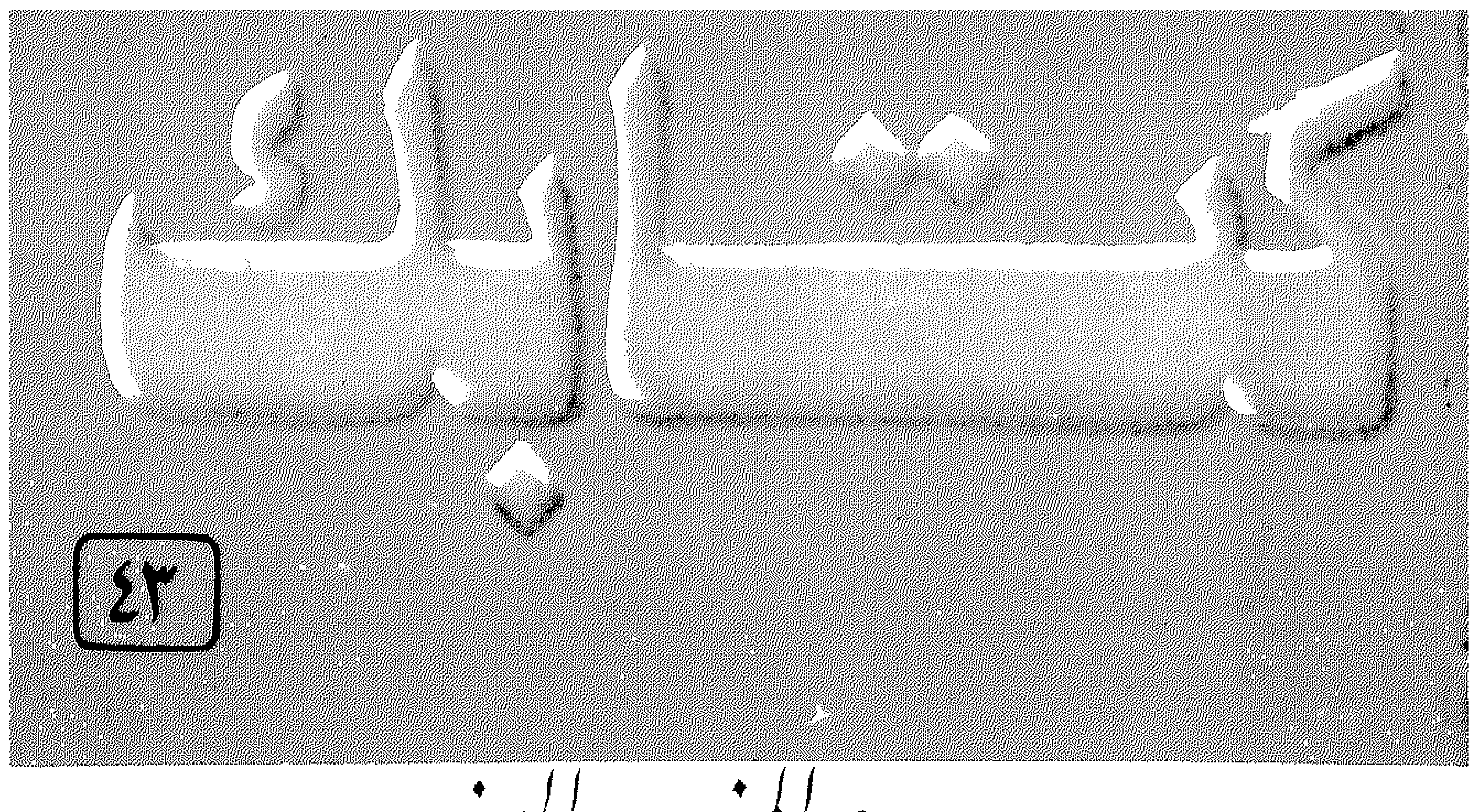
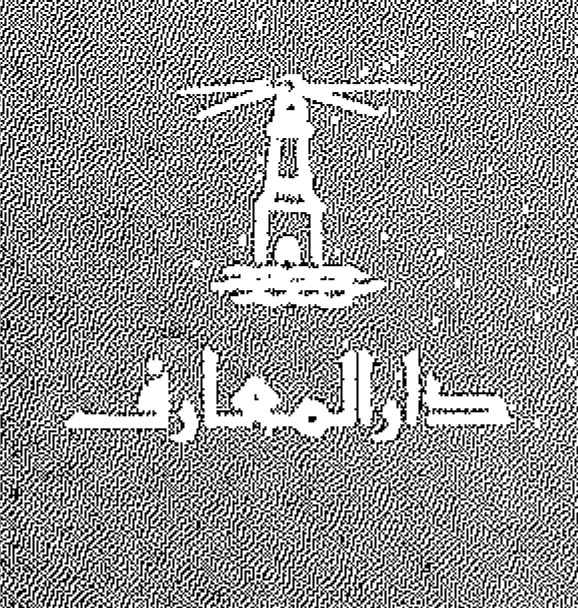


د. عبد المنعم النمر

حضارتنا وحضارتهم





كتابك ٤٣

رئيس التحرير أنيس منصور

د. عبدالمنعم النمر

حضارتنا وحضارتهم



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

لا أتصور ولا أحب أن يتصور غيرى أننى واقف على منبر أعظ الناس ، لأننى واقف على الأرض مثل كل الناس . أستمد من الواقع ومن شعورى به وشعور الذين حولى ، ومن نفثات الماضى ، وعبيق الأصالة ، ومن إحساسى بالخطر ، وحرصى على قومى منه – أستمد من ذلك كله مدداً لما أقوله .

إنه ليفجعنى ويكاد «يفلقنى» أن أرى العطاش الظامئين يولون ظهورهم للنبع الصافى الذى يروى ظمأهم ؛ ليضربوا فى صحراء لا نبع فيها ولا ماء ، وهم مقبلون على هلاك وفناء ! .

يفجعنى على أمتى أن أراها كالصغار الضائعين يسيرون وراء «الزفة» ، ويتركون أعمالهم ومهامهم ! .

إن الغرب والشرق كليهما صنع هذه (الزفة) بقوته العسكرية والإنتاجية وسيطرته على زمام الأمور فى العالم !

ولقد بهرنا واستخفنا من هذا وذاك تفوقٌ فى العلم والصناعة ، وهذا هو ما ندعو أمتنا إلى التفوق فيه . .

ولكن ما وراء ذلك من حضارة أعنى من مفاهيم لدى هؤلاء وهؤلاء

تصنع سلوكهم ، وتصوغ تصرفاتهم – هو الذى يجب أن نقف له ، ونحتاط منه ؛ فإن لكل أمة حضارة أوثقافة خاصة بها .

أما العلم فهو مشاع لا وطن له ، ولا يمكن أن تحتكره أمة ، أو تدعى أنها التى تعهدته من منبعه حتى الآن ، فقد شاركت فيه الأمم على اختلافها ، وعلى مر العصور منذ اهتدى الإنسان إلى النار . كل أمة وضعت فى بنائه لبنة .

وذلك على عكس الحضارة : أعنى المفاهيم التى تصوغ حياة الأمة ، فلا يمكن أى إنسان أن يدعى أن هذه المفاهيم « والأيدلوجية » واحدة ، أو مشتركة لدى جميع الأمم ؛ فكل أمة شاركت فيها بلبنة ، كما شاركت فى صرح العلم . لا يمكن أى عاقل أن يدعى ذلك .

ومن هنا كان لكل أمة حضارة « وأيدلوجية » ومفاهيم خاصة بها تصنع سلوكها ، وتحدد معالم رقيها أو همجيتها ، أو تحدد ملامحها بين الأمم حسنة أو قبيحة ، كما تصنع الحدود على أرضك وحول بيتك . .

وإذا كانت كل دولة تضع لها حدوداً مع الدول المجاورة ، وتدافع عنها وتحميها من الاعتداء عليها بدمائها وأرواحها .

وإذا كان كل منا يدافع عن حدود بيته وأرضه ، ولو اقتضى ذلك معارك وقضايا – فمن الطبيعى والضرورى أن تحمى كل أمة حضارتها وتحافظ عليها من أى غزو خارجى ، وحضارتها وقيمها ، يجب أن تكون أعز وأكرم عليها من أرضها .

وإذا كان من غير المقبول أن يتنكر إنسان لأصله ، وأن يدعى لغير أبيه وأسرته — فمن غير المقبول كذلك أن يتنكر شعب لأصله وحضارته وقيمه التى صاغت حياته . ويتطفل على حضارة شعب آخر ويتمسح به ، ويستعير ملامحه ؛ لأن ذلك يكون مدعاة لازدرائه ، حتى ممن يتمسح به ويستعير منه !

إنه ليس كريماً لأى شعب أن يكون كحيوان البيت الضال ، يتردد على كل بيت ، ويهز ذيله لكل من يلقاه ، ويلتقط رزقه من كل باب ، ومن كل يد !

ولقد أراد جماعة منا أن يكملوا ما بدأه وأراده المستعمرون من إفناء شخصيتنا ، وطمس ملامحنا ، فركزوا جهودهم من مراكز قوتهم لهذه الغاية بعد أن فقدوا فى أنفسهم ملامح شخصيتهم ونسبتهم لأمتهم ، فدعوا ويدعون إلى أن نقتبس من الحضارة الغربية ، والشرقية الماركسية — حلوها ومرها ، صحيحها وفاسدها ، حسنها وقبيحها !

ونحن أمة لها حضارتها العريقة ، وقيمها المستمدة من جلال صانعها ، ولها تاريخها وأمجادها القائمة على هذه القيم .

ومن الخطر على كياننا وعلى حاضرنا ومستقبلنا أو من العار علينا أن نتخلى عن حضارتنا لنذوب فى حضارة أخرى ، أو نحاكيها فى مجراها .

وإذا كان من المثير للضحك ، وللغيظ والإشفاق معاً — أن نرى سائلاً مهلهل الثياب يمد يده للناس فى الشوارع ، ثم نكتشف عنده ثروة

هائلة مدفونة – فإننا لا نريد أن نكون تلك الأمة التى تثير الضحك والغيظ والإشفاق !

وإذا كان الكثيرون منا ينساقون بلا وعى وتفكير وراء الحضارات المخالفة لهم مع ما فى ذلك من خطر عليهم وعلى أمتهم – فقد أردنا بهذه الصفحات القليلة أن نضع أمامهم نوراً أحمر على الطريق ؛ لينتبهوا ، ويقدروا لرجلهم قبل الخطو موضعها ، وعلى الله قصد السبيل . .

دكتور عبد المنعم النمر

تربية الشباب
بين الإسلام والحضارة الغربية

قبل أن ندخل فى التفاصيل أحب أن أذكر بعض القواعد العامة المتفق عليها ، ولا أعتقد أن هناك أحداً يخالف فيها ، لننطلق منها بعد ذلك إلى موضوعنا – هذه القواعد التى أقدم بها للموضوع كما أتصور، هى القواعد الآتية :

١ – الإسلام دين له عقيدته ونظامه الكامل الشامل للحياة القائم على هذه العقيدة والمستمد منها .

٢ – الإسلام يعتبر أن نظامه الذى وضعه للحياة جزء منه ولا ينزل عن ضرورة أخذ المسلمين بهذا النظام لتنظيم حياتهم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » [١] .

٣ – ومن الطبيعى أو الضرورى أن يكون هذا التشريع المنظم للحياة الذى يتمسك الإسلام بتنفيذه صالحاً للحياة فى كل وقت وكل زمان ، وإلا كان تكليف الله لنا به عبثاً وتعنتاً تعالى الله عن ذلك ، وقد برهن الواقع على صلاحيته ، حين جعل منه المسلمون نظاماً لحياتهم وحاكماً لها ، فأدى دوره بكل جدارة على مر القرون ، ولم يعجز أمام

---

(١) النساء/٦٥ .

أحداث وأقضية فى أى مكان حل فيه على الرقعة الواسعة التى أظلها ، ولا فى أى زمان نشأت فيه هذه الأحداث ، فكان ذلك أمراً بدهياً لا يثير إشكالاً ولا تساؤلاً ولا يحتاج إلى براهين ؛ ليقتنع الناس به ، لأن الواقع كان يتولى ذلك كله ، فكانت له السيطرة والهيمنة على شئون المسلمين ، وكان كالشريان الذى يمد واقعهم بالحياة وينظمها ، فاستقامت لهم الحياة .

٤ – أما حين تخلينا عنه ، واستعرنا بعض الأنظمة الغربية أو الشرقية ، وشكلنا حياتنا عليها ، وظهرت مزاحمة هذه الأنظمة المستعارة لنظام الإسلام ، حتى زحمته وأبعدته – فقد خيل إلى الكثيرين من المسلمين أن أنظمة الإسلام لم تعد صالحة للحياة ، ولا قادرة على التمشى معها ، وربما أخذ هذا القول بعض الوجاهة ؛ لأن الحياة التى يعيشونها إنما هى الحياة المستعارة من الغرب ، القائمة على قواعد لا يقرها الإسلام ، وبدهى أن الإسلام لا يتمشى معها ، ولا يسايرها ، ولكن بعض الناس يريدون إخضاع الإسلام لهذه الحياة التى صعنتها الأنظمة المستوردة . فإذا أبى قالوا : إنه غير صالح ، وعلينا إذن أن نسير مع حياتنا وأنظمتنا المستوردة ، حتى لا تختل هذه الحياة ، ولنأخذ من الغرب حلوه ومره . وهو قوى ومتقدم فلا خوف علينا !

٥ – ومن أجل هذا الخطر نشط الدعاة فى عرض مبادئ الإسلام ، وأنظمته ، وتنظيمه للحياة على الأسس التى يرتضيها المشرع

تحت عناوين لمقالات ، أو أحاديث ، أوكتب عن « الدين والحياة » أو « الإسلام والحياة » ؛ ليبرهنوا على أن الإسلام قادر على تنظيم الحياة الفاضلة لأتباعه ، بل للبشرية كلها ، ويدعو المسلمين للعودة إليه . وتشكيل حياتهم عليه ، والتخلى عن النظم المستوردة التى لا تتفق مع إيمانهم بدينهم ،

٦ – كل دين أو مذهب له قواعده ، وله شخصيته المستقلة ، التى لها ملامحها المميزة له عن غيره وله أنظمته المستمدة من هذه القواعد ، والمتسقة معها ، وذلك على حسب علم صاحب الدين أو واضع المذهب .

٧ – فالإسلام له شخصيته المميزة المستمدة من جلال مبدعه ومشرعه وإحاطة علمه ، وخبرته بالنفس البشرية وما يصلحها أو يضرها . والمجتمع الإسلامى القائم على هذا – مجتمع يقيم تصرفاته وحضارته على الاعتراف بالله والاعتقاد بوجوده ، ووحدانيته وحكمته ، وكل ما أنزله الله على رسوله أو أرشده إليه ، وكل عمل أو فكر أو أى إنجاز – إنما يجب أن يتم فى إطار هذه الصورة ، وكان نزول أول آية من القرآن الكريم وافتتاحها مؤكداً ومعلماً وواضعاً للحجر الأساسى لهذا « اقرأ باسم ربك » بحيث نفهم القراءة على أنها رمز العلم والعمل ، ورمز الحضارة ، ولابد أن يكون العمل لها والبدء بكل خطوة فيها مقروناً بالاعتراف بالله والإيمان به ، والتماس العون منه . وكل أمر ذى بال

لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع غير مبارك فيه ، وبذلك كان لابد لحضارة أو حياة يقيمها الإسلام – أن تكون قائمة على الإيمان بالله ، وعلى مراعاة رضاه فى كل خطوة ، وكل عمل صغير أوكبير فيها ؛ فهى حضارة روحها أو لحمتها وسداها – الإيمان بالله ، ومراعاة رضاه وإرشاداته .

٨ – وذلك على عكس الحضارة الأوربية أو الشرقية الماركسية أو الغربية فكلتا الحضارتين لا تقيمـان وزناً لله فى حياتهم : فالماركسية تجحده ، وتنكر وجوده ، وتحارب كل من يؤمن به ، وتقيم كل أنظمتها على هذا الأساس ، حتى لو اتفقت بعض الأنظمة الحياتية فيها مع نظام من نظم الإسلام فإنها تفترق فى روحها أوكمالها واستيعابها ، وفى الأساس الذى تقوم عليه ، فذاك قائم على الجحود بالله ، وهذا النظام روحه الإيمان بالله . . فلا يمكن لمسلم يدين بالإسلام ويؤمن به أن يعترف بنظام ماركسى ، ويترك مثيله فى الإسلام بحجة أنهما متماثلان !

أما الحضارة الغربية ، فقد قامت على أساس تنحية الدين المسيحى وعزله عن تنظيم الحياة ، بعد الثورة الفرنسية وغيرها فى أوربا على تحكيم رجال الكنيسة ، ففصلوا الدين عن الدولة ، ونظموا حياتهم كما يشاءون بعيداً عن مراعاة الله فى أى نظام يخطونه لحياتهم ، فانطلقوا كما يريدون وتُريد شهواتهم ، وتخطه عقولهم ، وترسم أهواؤهم ، فكانت حضارة مادية ليس لله فيها نصيب ، كل همها الرقى المادى والمتعة المادية : جسدية جنسية أو غير ذلك مع إهدار القيم الروحية ، أوكما يقول الكاتب

الأمريكى «جون جنتر» فى كتابه «داخل أوربا» عن الإنجليز : «إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام فى الأسبوع ، ويتوجهون إلى الكنيسة فى اليوم السابع !» والكنيسة تأخذ ممن يذهب إليها ساعة أو بعض الساعة من أيام الأحد ، ثم ينصرفون إلى ملاذهم وشهواتهم المعتادة لهم بقية اليوم وهو يوم العطلة الأسبوعية ! وهكذا بقية الشعوب الغربية ، وكما يقول محلل غربى آخر «إن الحضارة الغربية لا تجحد الله فى شدة وصراحة ، ولكن ليس فى نظامها الفكرى موضع لله فى الحقيقة ولا تعرف له فائدة ، ولا تشعر إليه بحاجة !» .

فكيف تلتقى إذن هذه الحضارة أو تلك مع الإسلام وحضارته وقيمه ؟

٩ — من القواعد العامة أيضاً أن كل نظام له شخصيته يرفض أى دخيل عليه من أنظمة أخرى ، تفسد عليه نظامه ، وتهز شخصيته وتفتتها ، ويعتبر إدخال أى نظام غريب عليه تخريباً له ، يقاومه بالشدة والصرامة ، ويعتبر أى إنسان من أتباعه يعتنق أى فكر غريب مخربٍ للنظام وخطراً عليه — يجب تطهير المجتمع منه حفاظاً على النظام ؛ حتى عرفنا استعمال هذه الكلمة «مرتد» من الإسلام ، كما عرفناها من الشيوعية ومن الاشتراكية : أعنى أن كل دين أو مذهب يعتبر نفسه مستقلاً استقلالاً تاماً ، كما يَعتبِر أى تدخل فى نظامه أو إدخال أى نظام غريب عليه اعتداءً على استقلاله ، وتدخلاً فى أموره الخاصة ،

كالاعتداء تماماً على استقلال الدول ، والتدخل فى شئونها الداخلية ، يقابل بالغضب والاحتجاج ، والحرب إذا لزم الأمر.

١٠ – فكارل ماركس حين وضع الشيوعية وقواعدها ومبادئها أو نظرياتها وفرع عليها الأنظمة ، والقوانين التى توفر قيام المجتمع الشيوعى الماركسى بكل معالمه – لم يقبل ، ولن يقبل أتباعه أن يتدخل فى شأنها أى فكر أو نظام يخالف ويمس أفكارهم وأنظمتهم الشيوعية ، أو ينال من المجتمع الشيوعى ويزعزعه .

ولذلك يعتبر الشيوعيون تسرب أى فكر إسلامى أو غربى رأسمالى إلى مجتمعهم خطراً يهددهم ، وأى إنسان يضبطونه متلبساً بفكر غريب عنها يعتبرونه مرتداً ، ويحرمونه حياته ويقضون عليه إلى حد أنهم هاجموا الأفلام الغربية التى تعرض بعض مظاهر الحياة فى المجتمع الرأسمالى الغربى ، واعتبروها خطراً على الشيوعية ، لأنها تفتح أذهان مشاهديها من الشيوعيين على حياة أخرى غير حياتهم ، التى ألفوها فى مجتمعهم منذ عهد الستار الحديدى ، وربما يخلخل ذلك من إيمانهم بالشيوعية ، ويدفعهم للتمرد ولو نفسياً على حكامهم ونظامهم .

لماذا أباحوا فتح المساجد :

وحين أباحوا أخيراً فى أثناء الحرب العالمية الثانية فتح المساجد والكنائس ، لم تكن خطوتهم هذه إيماناً بما يقال أو يباشر بالمساجد أو الكنائس ، وإنما كان أسلوباً مرحلياً من أساليب الشيوعية ، للدعاية

خارج المجتمع الشيوعى ؛ ليحدوا من عداء البلاد الإسلامية أو المسيحية لهم ، وليفسحوا مجالاً لنفوذهم فى هذه البلاد . والدعاية لمبادئهم فيها ، مع فرض رقابة محكمة على المترددين على المساجد أو الكنائس أو العاملين بالإدارات المشرفة عليها ونشاطهم ، وهم أى العاملون – يعرفون ما ينتظرهم لو تقدموا خطوة زيادة عما رسم لهم أن يخطوه أو يتحدثوا به . وأعلنوا فى دعايتهم أن كل إنسان حر فى أن يختار ما يريد ، ولكنهم بجوار ذلك جعلوا الإخلاص للشيوعية والتفانى فى نشر مبادئها وفى الكفر بالله وبالأديان هو الوسيلة الفريدة ، أو هو المؤهل الوحيد ، للحصول على عمل أو وظيفة يعيش من دخلها !

أما الذين يشك فيهم فهؤلاء لا مكان لهم فى أى عمل ، ولا حق لهم فى أية رعاية من الدولة ، وليذهبوا كما يريدون ! ولكن إلى أين ؟ إلى الموت جوعاً وإلى الجحيم ؛ فكل شىء فى يد الدولة .

وهم لم يفعلوا أو لم يعلنوا ذلك ، ولم يفتحوا المساجد والكنائس إلا بعد عشرات السنين من فرض الستار الحديدى وفرض الشيوعية ، والحديث عنها وحدها للجيل الجديد ، حتى تكونت الأجيال الجديدة على الشيوعية . فتركوا المسنين وشأنهم بعد ما اطمأنوا إلى أن أولادهم انفصلوا عنهم تماماً ! وربما تركوا للمسلمين أن يعقدوا زواجهم على الأساس الإسلامى ، لأنه أمر فاصل فى حياة المسلم . . لا يستقر إلا عن طريقه ، فتركوا لهم هذا الأمر على أن يتبعوا النظام العام فى الدولة

وما زالت صحفهم تتهم بعض الولايات أو الإدارات الحكومية بالتهاون فى مهاجمة الإسلام والأديان والقضاء على آثارها فى النفوس !

١١ – وإذا كانت الشيوعية تفعل هذا فى مجتمعها فرحة به حريصة عليه – فإن المجتمع الرأسمالى الغربى يعتز بنظامه ؛ ويحارب تسرب أى فكر شيوعى إليه ، ويحاكم كل إنسان يحاول هدم هذا النظام الذى أقامه على أسس مخالفة للأسس التى قام عليها المجتمع الشيوعى ، ويقوم العداء بين المعسكرين أو بين المجتمعين ، وكل يشتهى أن يحطم الآخر ، ويقضى عليه ؛ ليفسح لنظامه الطريق لسيادة العالم !

١٢ – وهنا نضع الإسلام وأنظمته كدين منفرد ، وأنظمة للحياة قائمة على قواعد خاصة يخالف ما عند المعسكرين الآخرين ؛ فلا عجب إذا حرص كغيره ، على شخصيته وقواعده وأنظمته ، التى تشكل مجتمعه ، ورفض أى فكر أو نظام دخيل يؤثر على فكره ونظامه وخصائص مجتمعه . ولا عجب إذا هاجم كل من يقلد غير المسلمين ، أو يتشبه بغيره فى أمر يمس الفكر أو النظام الإسلامى أو خصائص مجتمعه ، ويعتبر المتشبه خارجاً عن المسلمين ملتحقاً بأعدائهم : « من تشبه بقوم فهو منهم » ، كما اعتبر كل خارجٍ على أنظمته متهاونٍ فى تنفيذها والالتزام بها – فاسقاً . وكل منكرٍ جاحدٍ لها أو لقواعدها الأساسية – كافراً مرتداً ، وله جزاؤه فى الحياة قبل الممات . باعتباره معتدياً على سلطان الله وشريعته ، وعلى سلطة الدولة الإسلامية أو هيبتها

أو المجتمع الإسلامى ، متنكراً للمبادئ التى قام عليها ، ومعرضاً هيبتها للاهتزاز نقول : لا عجب إذا رأينا الإسلام يتخذ هذا الموقف حفاظاً على شخصيته ونظامه ؛ كما يتخذه أى دين أو مذهب آخر ، حيال المحافظة على شخصيته ونظامه .

١٣ – يبقى هذا الدين أو ذلك المذهب أو الفكر أو النظام قويًّا سائداً متحكماً فى سير الحياة ، ما دام أصحابه المؤمنون به – محافظين عليه ، حريصين على تنفيذه ، غيارى على شخصيته ، رافضين كل دخيل عليه . يخدشه أو يحد من هيبته ، ويزاحمه فى تنظيم مجتمعه ، مدافعين عنه ضد كل غزو من الخارج ؛ كما يدافعون عن وطنهم وأموالهم بل أشد .

١٤ – وحين ننظر إلى مشرع الدين أو واضع المذهب – نجد أنه إنما شرعه أو وضعه بصورة متكاملة فى نظر الشارع أو فى نظر واضعه من الناس بحيث يمثل سلسلة ودائرة واحدة محكمة الحلقات ، كل حلقة منها تساند الأخرى وتقويها ، فلو تكسرت حلقة أو سقطت من السلسلة – انفرط عقد الدائرة وضعفت قوتها .

ويمكن تشبيه هذا النظام أو ذاك أيضاً . بالماكينة أو الجهاز المكون من أجزاء أو أجهزة كبيرة وصغيرة ، ولكل منها دور يؤديه فى إدارة هذه الماكينة وتشغيلها ، فلا تدور وتعمل لتحقق الغرض الإنتاجى المقصود منها إلا إذا عمل كل جزء أو جهاز فيها ، صغيراً أو كبيراً ، وقام بوظيفته وأدى دوره .

فإذا تعطل فيها أى جزء أو جهاز – ولو كان مسماراً أو ترساً صغيراً – توقفت الماكينة عن الإنتاج ، وصارت جثة هامدة . أو اشتغلت بقوة أضعف من قوتها المقررة لها .

ومعى هذا أن أى نظام يقرره دين أو مذهب لابد أن ينفذ كله ، ويوضع موضع التطبيق ؛ حتى يمكن أن نحكم له أو عليه بالصورة النهائية التى يحققها . أما لو أهملت بعض أنظمته وحلت أخرى غريبة محلها – فلا يمكن أن نحكم عليه بأنه غير صالح للحياة أو العمل .

١٥ – ونسير فى التمثيل والتشبيه خطوة أخرى ، فنقرر ما هو معروف ، من أن كل جهاز له « ماركته وموديله » ومقاييسه الخاصة به ، ولا يمكن أن يقبل جزءا أو حتى مسمارا . أو ترسا صغيرا من جهاز آخر يغايره . لأن طبيعة تكوينهما وصنعهما وطريقتهما مختلفة . وكل له قطع غياره المختلفة عن الجهاز الآخر . ونحن نعرف أن محاولة إصلاح سيارة « شيفر » مثلا بقطع غيار مرسيدس أو غيرها من الماركات الأخرى محاولة تكون نتيجتها الفشل .

وكذلك الأسلحة الروسية والأسلحة الأمريكية كل منهما له نظام وأسرار فى صنعه . وله قطع غياره . ومن الصعوبة بمكان أو من العبث أن تصلح سلاحا روسيا بقطع غيار أمريكية أو العكس ! نعم قد يمكن شىء من هذا لو كانت الأجهزة أو الأسلحة متشابهة الصنع والمقاسات ، فإذا لم يعمل الجهاز الروسى بقطع غيار الأمريكى أو العكس فليس معنى

هذا أن السلاح سيئ .

والأنظمة الفكرية يمكن أن نطبق عليها هذه القاعدة ، فلا يمكن لأى نظام أن تدخل عليه نظاما آخر ، يخالفه فى طبيعته ثم تطلب منه أن يؤدى دوره كاملا ، ومعنى هذا أن النظام الإسلامى لا يمكن أن تدخل عليه نظاما غربيًّا أو شيوعيا ، ثم تطلب من النظام الإسلامى أن يؤدى دوره الكامل فى تنظيم الحياة ، وإدارة عجلتها ، وتحقيق المجتمع الإسلامى كما يريده الإسلام وتريده . . وإلا كان نظاما قاصرا غير صالح فى نظرك . فأعطه أولا الفرصة كاملة ، ثم انتظر النتيجة واحكم عليها .

١٦ – وهذه هى طبيعة الأشياء المصنوعة ، والتى أبدعها الخالق سبحانه سواء فى التشريع أو فى الكون كله . فكل جزء من العالم له جوه وطبيعته ونباته الذى يلائم هذه الطبيعة ، وكذلك حيواناته . فلا يمكن أن تجبر جزءا من الأرض له طبيعته الخاصة به على أن يتقبل نباتا أو حيوانا من منطقة أخرى تخالفه ! إنه يلفظها ، ولا يجاوبها ما لم تتدخل الصنعة والجهد البشرى لإيجاد المناخ المناسب لما نحب أن نزرعه ، وتكون الطبيعة فى النهاية هى التى انتصرت .

١٧ – وكذلك فى التشريع والنظام ! فالإسلام مثلا حينما منع الربا وحرمه هيأ بتشريعاته وتوجيهاته الأخرى الجو لهذا المنع ، ومهد النفوس لتقبل هذا المنع بالتعاون ، والتكافل ، والإيثار ، والمحبة ، حتى تنبذ الربا ، وتعتبره ماساً بكرامة المسلم ودينه ومجتمعه .

فإذا ما عملت أنت وغيرك على زعزعة معانى التعاون والتكافل فى النفوس ، وعملت على إبعادها عن ربها ، وعن الخلق الذى يرتضيه لها فقد غيرت الأساس أو طبيعة المجتمع ، فأصبحت مستعدة لتقبل النظام الربوى ؟ بل باحثة عنه ، ومتصورة أن الحياة لا تسير أو — تنتظم إلا به . كما هى حالنا الآن !

والسبب فى هذا التغيير كما هو واضح بعد الكثيرين من أفراد المجتمع الإسلامى عن روح الإسلام ونظامه ، ووقوعه تحت تيار الحياة المادية الغربية التى عمل الاستعمار الغربى على تمكينها فى الأوساط الإسلامية ، فنظرت للأمور بعين الغربيين وتفكيرهم ، وحكّمت المقاييس الغربية فى حياتنا الإسلامية ، فحكمت على نظام الإسلام بالفشل ، وأنه غير صالح للحياة . ولكن أية حياة ؟ الحياة التى صنعها النظام الغربى !

ولو أن الغربيين مثلا أخذوا المثل والأخلاق الإسلامية وطبقوها فى مجتمعهم لحكموا على نظامهم بالفشل وعدم مسايرة الحياة . .

فتغيير الأرض أو تغيير الجو هو الذى يتحكم فى النبات وفى ثمره ، وهذا هو السبب فى أن كل نظام يتشدد فى الحفاظ عليه كله ، وعدم التهاون فى أية جزئية منه . لأن الجزئية الصغيرة تخل بالجهاز كله ، وتجعل العقد ينفرط .

ولذلك وجدنا القرآن الكريم يقول « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا**

تسليما » (١) . .

ويقول « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » (٢) .

ويقول « **إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** » (٣)

ويقول « **الرسول ﷺ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى** » . . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التى تركز على ضرورة الأخذ بالنظام والتشريع كله ، وعدم التفريط أو التهاون فى شىء منه ولو كان صغيرا ، فإن التهاون فى الصغير يؤدى إلى التهاون فى الكبير . . أو يؤدى إلى خطر كبير ، ولذلك قالوا إن الإصرار على مباشرة الذنب الصغير يعتبر ذنبا وإثما كبيرا .

ولنأت بعد ذلك إلى التطبيق والمقارنة :

١٨ – الإسلام أصلا يقوم على الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وله مثله وقيمه وأنظمته القائمة على هذا الأساس ، والشيوعية تقوم أساسا على إنكار أن يكون هناك إله خالق للكون ، وإذا كان هناك إله فالإنسان هو **الذى يتخيله** ويصنعه ولا حقيقة له ، وحينما هبط رائد الفضاء الروسى

---

(١) سورة النساء/٦٥ .

(٢) سورة الحشر/٧ .

(٣) سورة النور/٥١

على الأرض قال خروشوف : « لوكان هناك إله لشكرته » ففكرة وجود إله خالق للكون ، له ملائكته ورسله إلخ لا وجود لها فى المجتمع الشيوعى ، بل يعتبرونها من أشد الأخطار على النظام الماركسى .

فكيف تتلاقى الشيوعية مع الإسلام فى فكر إنسان أو تنظيم مجتمع ؟ لا يمكن ! وخدّاع ومموه ذلك الشيوعى الذى يقول ذلك ، وأشد منه خداعا وتمويها وخطرا ، ذلك المسلم الذى يظن أنه من الممكن الجمع فى عقيدته بين الإسلام والشيوعية ، اللهم إلا إذا كان من الممكن الجمع فى آن واحد بين النور والظلام ، والوجود واللاوجود ، وبين الفوقية والتحتية لشىء واحد أى الجمع بين المتضادين ، فهذا شيوعى : إذن ليس بمسلم . وهذا مسلم حقيقى غير مزيف ولا مدع ، إذن ليس بشيوعى .

١٩ – والحضارة الغربية ، وأعنى بها أفكارها ، ونظم حياتها ، وإن اعترفت بالله شكلا ، لكنها تقوم – كما سبق – على تنحية الله من طريقها ، وعدم تدخله فى أمور الحياة ونظمها وتقوم الدولة ، بعبارة أخرى متداولة على الفصل بين الدين والدولة ، والانطلاق فى الحياة على هوى الإنسان دون رابط . وتسييد المادة بلا حاجز . فهى كما يقول المحلل والكاتب الغربى : « ليس فى نظامها الفكرى موضع لله فى الحقيقة ، ولا تعرف له فائدة ، ولا تشعر إليه بحاجة »

ولا يمكن لأى إنسان يتخذ من هذه الحضارة إماما وهاديا ومثلا أعلى أن يكون لـلإسلام بقواعده ونظمه ومثله مكان فى قلبه : فإما الإسلام

ومثله ونظمه وقيمه الروحية ، وإما الحضارة الغربية المادية ومثلها ونظم حياتها .

ولا نعنى بالحضارة هنا مظاهر الصناعة والتقدم العلمى ، لأن ذلك مشاع بين الأمم ، ويمكن لأى غنى جاهل أن يقتنى من هذه الصناعات ما شاء وفى أى مكان ، وإنما نعنى بها الأفكار و « **الأيديولوجية** » التى تشكل الحياة ، بما فيها من قوانين ونظم وعادات وسلوك .

٢٠ – الإسلام يقيم مجتمعه أصلا ونظام الحكم فيه على الشورى والحرية ، حرية التعبير والتفكير ، والاختيار للفرد ، وعلى احترام العقل والنفس والمال والنسب والعرض ، وعلى احترام الفرد على أساس خلقه وعمله لا لطبقته ونسبه ، والناس جميعا متساوون ، يبدءون من نقطة الصفر ، ثم يتميزون بعملهم وخلقهم وقيمهم وعطائهم للمجتمع حولهم .

٢١ – والشيوعية أو الماركسية أو الاشتراكية المتصل بعضها ببعض ، تقوم على أساس تسلط وامتياز فئة وطبقة العمال على الطبقات الأخرى ، كما تقوم على الدكتاتورية فى الحكم ، وسلب الحريات ، وإهدار الكرامات ، حريات الأفراد والشعوب إلى أن يصير العالم كله شيوعيا ذا نزعة إجماعية فى الكفر بالله والإيمان بالماركسية ونظمها ، وحينئذ – ولن يكون – تطلق للناس حرياتهم ، وهو تعليق على مستحيل ، ومعناه أن تظل المجتمعات الشيوعية فى العالم مع كفرها بالله : كافرة بالشورى

والحريات وكرامة الأفراد اللهم إلا لفئة الحكام وحريتهم فى الاستبداد بالناس !

فهل يمكن أن يتلاقى الإسلام مع الشيوعية فى هذه الأنظمة ؟ وهل يمكن أن تأخذ مبدأ أو نظاما من هذا وله خصائصه المعروفة المميزة ، وتضعه أو تزرعه فى ذاك وله خصائصه المميزة له ؟ **لا يمكن** .

٢٢ – الإسلام يحترم الملكية والمال الآتى من كسب شريف حلال ويجعل فيهما حقا للمجتمع ، ويحدد الوسائل الشريفة لكسب المال وحيازة الملكية ، ويطلق حرية التملك فى حدود الشريعة والمصلحة .

٢٣ – والشيوعية لا تحترم المال ولا الملكية الفردية ، وتجعل كل شيء ملكا للدولة ، وإن كانت تراجعت أخيرا فأباحت الملكية فى حدود ضيقة جدا ، وأفراد الشعب كلهم موظفون أو أجراء لدى الدولة « **كلهم إنكشارية** »

٢٤ – والغرب يغالى فى احترام المال والملكية الفردية ، ويطلق للفرد والمنشآت العنان[1] فى كسبهما ، ولو بتحطيم القيم الشريفة ، وسحق الطبقات الفقيرة .

٢٥ – الإسلام يحرم الربا والاحتكار والاستغلال ، حفاظا على حق الفرد والمجتمع وحماية لهما من جشع المحتكرين والمستغلين .

---

(١) العِنان : بكسر العين لجام الفرس وجمعه أعنة : والعَنان بفتحها السحاب ، وجمعه أعنان .

٢٦ - والغرب يبيح الربا والاحتكار والاستغلال ويشجعها . وليذهب الآخرون للجحيم !

٢٧ - الإسلام يحترم العرض والنسب ويحافظ عليهما من الخدش . ومن أجل ذلك حد من حرية الشهوة للرجل والمرأة . ومنع الوسائل المؤدية لخدش العرض ، أو إثارة الشهوة والغريزة الجنسية إلا فى حدود ما أباحه للزوجين ، كما منع الخلوة المثيرة للظنة أو الشبهة . وارتفع بالمرأة عن أن تكون سلعة مثيرة ، معروضة بمفاتنها فى الطريق . وبالغ فى ذلك ، حتى عنى بتحديد ما يجوز كشفه من جسمها . للأجانب عنها ، وغير الأجانب ، ومالا يجوز . بل ذهب أكثر من هذا فى الحفاظ على كرامة المرأة واحترام شخصيتها حتى لا تكون إثارة متنقلة ، فقال الله تعالى : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** »(١) لتمر المرأة على الرجال دون أن تسترعى أنظارهم ، وتثيرهم وتشغلهم بجرس الخلاخيل ، ويتابعوها بالنظرة أو الهمسة أو الكلمة الخادشة .

ومنع لذلك أيضا أن تتعطر المرأة وهى خارجة للطريق . لأنها تفعل ذلك لجذب انتباه الناس ، على حين طلب منها أن تتعطر وتتزين لزوجها .

وأسلوب كلامها مع الرجال ولو كانت من وراء حجاب - تدخل فيه وحدده ، ومنع من أن يكون أسلوبا وجرسا مثيرا ومغريا ومطمعا فيها .

---

(١) سورة النور/٣١ .

فيقول لقمة نساء المؤمنين : « **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا**[1] » **أى طبيعيا معتدلا** ، وكل مجتمع لا يخلو من هؤلاء المرضى ، بل هم كثيرون ، ومتربصون لأى صيد ، لذلك كان على المرأة المسلمة أن تحتاط فى أسلوب كلامها وجرسه ، حتى لا تثير أحدا ، وتطمعه فى النيل منها ، والتحدث عنها بما يسيء إلى سمعتها ، وكثيرا ما نرى عفيفات طاهرات أثرن حولهن الكثير من الشبهات واسأن إلى سمعتهن بأسلوب كلامهن ، أو بضحكاتهن ، وباشاراتهن وبطريقة مشيتهن .

ومن الجانب الآخر أمر الرجل أن يحترم المرأة وحذر أن يخدشها بكلمة ، وإلا عوقب على ما يقول فى الدنيا والآخرة : « **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**[2] » : فى الدنيا يعاقبون بحد القذف ، وفى الآخرة عذاب عظيم . .

٢٨ — ومع ما حدده للمرأة المسلمة من ملابس تبعث على الاحترام فإنه أمرها حين تمشى أو تقابل رجلا أن تغض من بصرها ، ويكون عندها حياء ، حتى لا يحدث ما لا يرتضيه الإسلام ، كما أمر الرجل من الجانب الآخر أن يغض بصره عنها ، ولا يتابعها بالنظرة تلو النظرة ،

---

(١) سورة الأحراب/٣٢ .

(٢) سورة النور/٢٣ .

فالنظرة الأولى لك (والثانية) عليك ، « **لأن الأولى لا يمكن تجنبها ، فكان الممنوع متابعة النظرة لمجرد التمتع بها** » أما إذا كانت المتابعة لغير التمتع كما لوكانت فى محاضرة أو فى عمل يقضى بضرورة النظر ، ولكن بدون قصد المتعة والشهوة ، فكل نظرة لها معنى وطعم وهدف .

والإسلام لا يمنع النظرة التى يحتمها الواقع ، وإنما يمنع النظرة المشبوهة الباعثة على الشهوة حفاظا على المرأة ، وعلى الرجل أيضا تنقية للجو من الميكروبات الضارة ، فكثيرا ما تكون النظرة رسولا إلى ما وراءها ، أو شفرة يحل كل من الرجل والمرأة رموزها ! « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم**[١] » . « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**[٢] » أى عادة ما تفرضه ضرورة العمل والتحرك ، وحدده الرسول ﷺ بالوجه والكفين .

٢٩ – وبينما الإسلام يحيط المرأة بهذه العناية وهذه الصيانة حفظا لكرامتها ، وكرامة أسرتها ، ورعاية للأنساب والأعراض نجد مجتمعا كالمجتمع الغربى لا يحيطها بهذه الصيانة ، ولا يحد من اندفاعها ولا من اندفاع الرجل إليها ، بل يعطيها ويعطى الرجل ، الحرية الكاملة فى أن يفعل كل ما يشاء ، فهو أو هى ملك نفسه أو نفسها ، وللمالك أن يتصرف فى ملكه كما يشاء ! هكذا بدون حدود ، فلا شىء أمام هذه الحرية

---

(١) سورة النور/٣٠ (٢) سورة النور/٣١ .

يسمى حق المجتمع ، أو حق الأسرة ، فى الحفاظ على عرضها ، لأن الحرية الفردية حتى فى القوانين تطغى على حق المجتمع وعلى حق الأسرة !

ومن هذا المنطلق يتصرفون ، ويقيمون مجتمعهم ، ويستمدون تقاليدهم ، ويحكمون على تصرفاتهم أو يقومونها ، فأصبحت عندهم علاقة الرجل بالرجل جنسيا مباحة بقانون . يصدره برلمانهم (إنجلترا) ! والمرأة تتصرف من واقع حريتها الكاملة كما تشاء ، والقانون يحرسها ، ويحمى تصرفاتها مهما تكن ما دام ذلك برضاها واختيارها ، لا شأن لأبيها أو أمها أو أخيها أو أسرتها وأقاربها ، ولا يجوز لهم أن يتدخلوا فى حريتها وإلا عوقبوا ، كما لا شأن للمجتمع بهذه الحرية !

وانطلاقا من هذا الإيمان بالحرية تتصرف البنت كما تحب أمام أبيها وأمها وفى بيتها وفى الشارع والمتنزهات وغيرها .

أليست جميلة وأنثى ؟ ، أليس من حقها أن تتمتع بجمالها وأنوثتها ؟ بل ربما تحزن الأم أو الأب إذا لم تجد ابنتهما صديقا أو أصدقاء تتمتع بالحياة معهم ! ولا بأس عندهم فى ظل هذه الحرية أن يتبادلوا الزوجات فى غير حلال باسم الحرية والقانون حامى حمى الحريات .

٣٠ – وما دام هذا المنطق هو السائد فأهم شيء لدى الفتاة أو المرأة أن تكون مثيرة وجذابة للشباب وللأصدقاء والمعجبين ، فلتفعل فى نفسها العجب ، ولتتفنن فى أساليب الإثارة ، ولتعمل بيوت الأزياء ، وتصفيف الشعر والماكياج كل سنة بل كل فصل من فصول السنة على إرضاء هذه

الميول فى الرجل والمرأة ، فتغير من مودات الملابس كل فصل ، بل للنهار والليل ، وتبتدع الأخرى « مودات » متغيرة لتصفيف الشعر والماكياج إلخ . . ملابس ماكسى أو ماكسم ، أو مينى ، أو ميكرو ، واسعة أو ضيقة ، صدر مفتوح مقفل ، بنطلون ضيق مفصل حتى لثنيات الجسم ، إلخ . . المهم أن تظل الفتاة أو المرأة جذابة ومثيرة للرجل حتى فى أحذيتها وحقائب يدها ولون أظافرها وشفتيها إلخ . . ، لأن الرتابة لا تسترعى نظرا ، ولا تثير رجلا أو شابا ، وهذا أمر غير وارد ، والرجال مساكين يدفعون وينفقون وإن كانوا من ناحية أخرى يتمتعون والمتعة « سايبة » ومعروضة « أوكازيون » للجميع ، والمحال أغلبها لإرضاء هذه النزعة .

فالإثارة عندهم والإغراء من أساس حياة المرأة فى مجتمعها ، ولا بأس مطلقا ، فهذه حرية والطريق مفتوح أيضا باسم الحرية ، وما دامت الطرق مفتوحة فكلها تؤدى إلى روما كما يقولون !

٣١ – اطلعت على كلمة فى مجلة آخر ساعة مارس سنة ١٩٧٥ عن كتاب ألفته فتاة سويدية للدفاع عن شباب السويد وعن الحرية الشخصية وما يترتب عليها بنته على إحصاءات كلها تشير إلى أن الإباحية تجتاح العالم (طبعا لأنها تسير فى ركاب الحضارة الغربية التى تغزو العالم) وتقرر أن الجرائم البشعة أصبح الكلام عنها شيئا مملا ومعادا ومكررا فى جميع الصحف ! وتقول إن ذلك أمر يعم العالم ، ثم تتحدث بفخر عن شباب وشابات السويد ، فتقدم صورة زاهية ومضيئة كما تعتقد ، فتقول إن

الشاب يعمل ، ويحب ، ويمارس الجنس فى اليوم الواحد ، ولكنه كما تقول – يعرف متى يعمل ؟ ومتى يحب ؟ ومتى يمارس الجنس ، بحيث لا يطغى هذا على وقت ذاك ؟ هذا هو المهم . . تنظيم الوقت وتوزيعه ! المهم فى نظر الكاتبة أن المركب تسير فى بلادها فى ظل هذا كله ، وكلهم سعداء به . . نعم سعداء ! ولكن إلى متى ؟ فكل شيء له نهايته المحتومة ، وإن تأخر الزمن بها ، وأى مجتمع تقوده غريزته وتطغى عليه لابد أن يتحطم فى النهاية ! فإن الله الذى خلق الكون وخلق الرجل والمرأة ، ووضع القوانين الكونية – لم يجعل استقامة الحياة وازدهارها فى ظل الانقياد الأعمى للغرائز ، وإلا لما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وسن الشرائع ، وجعل الحرام والحلال ، بل ترك الجنس البشرى لغرائزه ، ولكن الله رحيم بخلقه ، فلم يتركهم تقودهم غرائزهم بل ألجمها ، وتحمل المرسلون والدعاة والمصلحون فى كل أرض وكل زمن – ما تحملوه فى سبيل أن يحدوا من اندفاع الغرائز ويلجموها حتى تستقيم الحياة .

٣٢ – وإذا كانت هذه صورة مصغرة لما يحدث فى المجتمع أو لما أنبتته الحضارة الغربية فكيف تتلاقى مع الإسلام ونظمه وأهدافه وغاياته ؟ **إذن فلابد أن تختلف وسائل التربية** تبعا للأهداف والقيم السائدة .

٣٣ – إن الإسلام قد أعطى الناس الحرية ، ولكنه وضع لها قيودا وتحفظات ، لكى تؤتى ثمارها الطيبة وتتجنب الثمار المرة : فمع الحرية المحترمة حق العرض وحق النسب وحق المجتمع فلا حرية بدون حدود ،

وإلا كانت فوضى مدمرة . والله الذى أعطى الحرية وقررها . هو الذى وضع لها خط مسيرها ، وأحاطها بالحدود والجسور . حتى لا تكون كالفيضانِ المدمر !

نعم لا يمكن أن تأتى لنظام تتقرر فيه هذه الحرية المحترمة . ويتقدس معها حق العرض ، وحق النسب . وتطالبه بأن يلغى وجوده . ويقدس الحرية الفردية بلا حدود كالمغرب .

لا يمكن لمجتمع غض البصر– وهو ما أحب تسميته به رمزا للطهر والعفاف – أن تطلق عليه أنياب الحرية الفردية لتمزقه . وتسلط عليه أساليب الإغراء ، والإثارة ، ثم يستقيم ويسلم . لا يمكن أن يعيش هذا مع ذاك ، فإما هذا وإما ذاك . لا يمكن أن تلقى النار على البنزين ثم تطلب ألا يشتعل . لأن ذلك ضد طبيعة الأشياء .

وإذا كنت تحافظ على البنزين فأبعده عن كل مصدر للنار مثل ما تحتاط محطات البنزين ، وتكتب لافتة عند مدخلها « **ممنوع التدخين** » طبعا خوفا من اشتعال النار فى المحطة من سيجارتك !

٣٤ – والإسلام لاحظ هذا بالنسبة للمجتمع الذى تعيش فيه المرأة والرجل جنبا إلى جنب ، فعمل على إقامة التوازن بينهما . ومنع أن يطغى أحدهما على الآخر . أو يسلط عليه مغناطيسيته القوية إلا فى الجو الذى يرتضيه ويجيزه بين الزوجين ، فليس من الإسلام ولا من المنطق المعقول فى مجتمع مسلم أنْ تطلق المرأة صواريخها الموجهة على الرجل ، ثم يسلم

الرجل من هذه الصواريخ !

والمفروض أن يكون هناك تعاون من الطرفين على الحفظ والصون والمعايشة السلمية دون اعتداء من طرف على الطرف الآخر.

لكن المجتمع الغربى لا يعرف هذا فالحرية المطلقة ، والإثارة ، هى القاعدة ، فكل إثارة مقبولة ، بل مطلوبة ! وهذا لا يلتقى هو والمجتمع الإسلامى وآدابه ، بل يعتبر نقيضا له .

ولهذا كان لابد أن تختلف وسائل التربية فى هذا المجتمع وذلك على حسب اختلاف النظرة إلى الجائز وغير الجائز ، والممدوح وغير الممدوح ، فليس من المقبول إسلاما أن يشكل المجتمع الإسلامى نمط حياته واتصالاته على النمط الغربى ، ويستعمل أساليبه ويستعير منه نظرته للمرأة والرجل ، لنربى أجيالنا على أساس هذه النظرة ، ونطلق لأنفسنا العنان وراءهم كالذيول والأتباع والإمعات ! فنقيم حفلات السكر والمراقصة كما يقيمون حفلاتهم ، أو يرتضى المسلم وهو جالس مع زوجته أو بنته أن يأتى رجل ، فيسحبها من جواره لتراقصه ، كما يفعل الغربيون ، ثم يقوم هو الآخر ، ليراقص امرأة أخرى وهكذا ! فارتضاء المسلم لشىء من هذا وأمثاله يعتبر انخلاعا منه عن مجتمعه الإسلامى ، والتحاقا بالغرب وتقاليده .

٣٥ – فإذا جاء هذا المسلم المنخلع عن مجتمعه ، وحلا له أن يدعو الناس لما صار هو إليه فهذه هى طبيعة الواقعين فى الإثم ، يحبون أن

يشاركهم الناس فيه وهى البجاحة والهدم والتأخر ولو خيل إليه أنه « أسبور » ومتقدم ومتمدين إلى غير ذلك من أوصاف !

ومن الواجب على كل مسلم له ولاؤه لدينه ومجتمعه أن يصده . ويحاصر شروره . ويحطم معوله الذى يهدم به حفاظا على مجتمعه وكيانه ، وصونا لهذا المجتمع من أن يصير إلى ما آل إليه أمر المجتمع الغربى ، من تحلل وانفصام فى الأسرة . وتمزق لكيانها ، فإن الحرب الخطيرة الطويلة أولها قذيفة ، والطريق الطويل أوله خطوة ! ولقد كانت الحرية المطلقة للمرأة والرجل فى الغرب القذيفة التى أصابت المجتمع الغربى فى صميمه ، ومزقت كيانه . وحطمت روابط الأسرة . وفصلت الأولاد عن الأبوين . وعرضتهم للضياع ، كما عرضت الوالدين لتنكر الأولاد وازدرائهم لهما ، وتركهما يعانون فى كبرهما عناء الوحدة والقطيعة !

٣٦ – حدثنى صديق وهو سفير عربى مسلم عاش متنقلا فى دول الغرب أكثر من عشر سنين ، حدثنى عما آل إليه أمر الأسرة فى الغرب من تمزق ، وتفكك وضياع ! فالأولاد غالبا ما يحقدون على آبائهم . لأنهم فى صغرهم لم يحسوا دفء الأبوة ولا حنان الأمومة . فالأبوان فى تيار الاندفاع المادى فى الحياة يعملان ، وقلما يجتمعان فى البيت مع الأولاد ! وإذا اجتمعا مع أولادهما فهم مشدودون للتليفزيون ، وقلما يتحدثان مع الأولاد أو يحس الأولاد منهما عناية بهم ، فشبوا وهم لا يشعرون بأى عطف أبوى ، بل العكس يمتلئون بالكراهية لها ، والحقد عليهما وعلى

أمثالها من جيلها القديم . وفى أول فرصة تسنح للأولاد يظهر ذلك بشكل جلى . ويتسرب الآباء مرارة ما فعلوا . وما فعلته بهم المادية والمدنية الغربية . .

وقد حدثنى عما شاهده من تهجم الشباب فى الشوارع على من يصادفونه من كبار السن . وهجومهم على ملاجئ المسنين . ليعذبوهم بالسياط ! وقد رأى شبابا يلبسون الجلد ، ويمسكون بالكرابيج ، يتتبعون كبار السن فى الشارع ليلهبوا ظهورهم ووجوهم بسياطهم ! مساكين . !

٣٧ – وقد نشرت مجلة آخر ساعة بتاريخ ٥ من مارس ١٩٧٥ (٢٢ صفر ١٣٩٥ هـ) تحقيقا صحفيا مع باحثة سويدية – أشرت إليها من قبل – وهى معنية بالبحث والإحصاء ولا سيما عن الشرق باعتبارها مسئولة عن الشرق فى المعهد السويدى للدراسات الدولية ، كان عنوان التحقيق مستمدا من حديثها وهو (الترابط الأسرى هو مصدر سعادتكم) وهى تتحدث عن مصر والبلاد الإسلامية .

سألتها الصحفية عن أهم شيء استرعى نظرها فى الإنسان المصرى فقالت :

« إن أكثر ما تعجبت له فى البداية هو مظاهر السعادة على الوجوه ، بالرغم من المشاكل الكثيرة التى تحيط بكم . ولكن بعد فترات متقطعة من الإقامة فى مصر أستطيع أن أؤكد أن العلاقات الإنسانية التى فى بلادكم هى السبب ، فترابط الأسرة والأجيال هو أجمل ما تستمتعون

به ، لقد رأيتهم يتجمعون فى الريف المصرى حول الطعام . وحول إبريق الشاى ، وهم يسمرون ويضحكون . ويشعرون بأنهم أسرة واحدة . وإذا كان هناك فرح اجتمعوا له . وإذا حدثت مشكلة تضافر الجميع لحلها » .

أشياء نراها عادية عندنا لكنها استرعت نظرها لحرمان الغرب منها . كما تقول :

بينما يكفى فى أى بلد أوربى أن يصل الأولاد إلى سن الثامنة عشرة لينفصلوا . ويستقلوا تماما عن أهاليهم ، ويحدث انفصال تام بين الأجيال ، ولكنى وجدت أنكم تلتفون حول المسنين من الأسرة . فلا يشعر الجد أو الجدة بالوحدة والفراغ اللذين يحسونهما عندنا .

« **وإننى** أعتقد أن أسعد المجتمعات هى التى تحقق للإنسان مطالب الحياة مع الاحتفاظ بالروابط الإنسانية والعاطفية التى لا يستطيع أن يسعد بدونها الإنسان مهما أحيط بكل الإمكانات المادية . ووسائل الترفيه ، كما أن الإيمان بالله من أهم أسباب السعادة والشعور بالرضا »

« فعواطفكم لم تفسدها الحياة المادية بعد : أى كما أفسدتها عندهم . ولذلك فإننى لا أتعجب عندما أشعر أن الشعب المصرى على الرغم من كل مشاكله — شعب مرح تبدو عليه علامات الرضا والسعادة »

« وسألتها الصحفية عن آخر إحصاء للانتحار عندهم — والسويد مشهورة بكثرة الانتحار فيها مع رفاهيتها — فقالت : ١٧٥٠ حالة فى سنة واحدة ! منها ١٢٤٢ رجلا من سكان السويد .

وسألتها عن متوسط سن الانتحار فقالت : يتردد بين ٥٠ ، ٥٩ ومعظمها بسبب الوحدة فكل الذين تخلصوا من حياتهم كانوا يشكون من الوحدة ، وأغلبهم من مدمنى الخمور ، والواقع أن الوحدة من أكبر أسباب التعاسة فى السويد إن ظاهرة الأسرة الكبيرة تختفى داخل مجتمعنا ، ومعظم البيوت خارج العاصمة عبارة عن « فيلات » متباعدة لمسافات طويلة ، لا تتيح لسكانها الاتصال ، فلا يعرف الواحد معنى لعلاقة الجوار ، كما أن العمل طوال النهار : يبدأ من التاسعة ، وينتهى فى السادسة ، فيجعل من الصعب أن تظل الارتباطات الأسرية أو الاجتماعية قائمة وخاصة بين المتقدمين فى السن .

وأقول لو كانت هناك أصلا عاطفة أسرية وارتباط أسرى ، ما كان من الصعب التواصل والتواد ، ولكن هذه العاطفة غير موجودة ، والباحثة السويدية تعرفها ولكنها تريد أن تأتى بعلة ظاهرية . . وتستمر الباحثة السويدية فى حديثها عن أسباب الانتحار فتقول :

« وتزداد حالة الانتحار فى أعياد الكريسماس » ورأس السنة ، ففى هذه الفترة يشعر الإنسان الوحيد بقسوة الحياة أكثر من الأيام العادية ، ويشعر الذين يعيشون بمفردهم فى السويد بوحدة قاتلة ، تؤدى بهم أحيانا إلى اليأس التام والانتحار بالرغم من وجود كل وسائل الترفيه والراحة داخل البيوت ! وبعض المسنين الذى يتمسكون بالبقاء فى منازلهم – والعادة هناك أن يضع الأبناء آباءهم المسنين فى الملاجئ

ليجدوا عناية بهم – على حين أن أولادهم منفصلون بعيدون عنهم لا يعلمون من أمرهم شيئا ، حتى إن هؤلاء الذين يتمسكون بالبقاء فى منازلهم كما تقول : « يحدث أن يموت أحدهم فلا يشعر به أحد ، ولا يعرف أحد موته ، إلا بعد فترة طويلة ، وأحيانا يكتشف الوفاة ساعى البريد عندما يلاحظ أكواما من الجرائد والرسائل أمام باب البيت دون أن يتسلمها أحد ، فيذهب إلى الشرطة ليعلن شكوكه ، وغالبا ما يكتشف البوليس أن المسن فارق الحياة منذ فترة طويلة قد تصل إلى أسبوعين دون أن يكتشف أحد ذلك لـلانفصال التام ين الأجيال ، والعلاقة المفقودة ين الجيران »

٣٨ – وهذا الانفصال ين الأجيال سببه – كما سبق أن تحدثنا – هو انصراف الآباء تحت وطأة الحياة المادية عن إشعار أولادهم بدفء حنان الأبوة مع الحرية المطلقة التى يتمتع بها الجميع : الأولاد ، الأب ، الأم ، مما أضاع كل معنى كريم فى حياة الأسرة ، ومن ثم فى حياة المجتمع !

وموجة الرفض لكل شىء التى تجتاح الغرب الآن وتعتبر من أهم مشاكله هى مظهر لحقد الجيل الجديد على الآباء ، والانفصام التام بينهما ، حقد على الطريقة التى يعيش عليها الآباء وعلى تصرفاتهم ، وإثارتهم للحروب التى تحصد عشرات الملايين من القتلى والمشوهين .

ولم تستطع المدنية الغربية ، ولا المستوى الرفيع الذى يعيش فيه

الغربيون – لم يستطع ذلك كله أن يوفر للمجتمع الغربى الطمأنينة والرضا ، بل حقق من القلق والحقد والرفض للمظاهر المدنية وللترف المادى – ما يجب أن نعكف على دراسته ونتخذ منه العبرة.

لقد كانت هذه الحصيلة المؤسفة بسبب فقدان الحضارة الغربية للروح الدينية المثالية وهذه تجربة الغرب يراها الذين يعيشون منا هناك ، ونقرأ ونسمع نحن هنا عن هذه التجربة – ما يجعلنا نطلق صفارة الإنذار لاتقاء الخطر الذى يندفع إليه بعضنا . ويدعونا لكى نشاركهم فى هذا الاندفاع أو فى هذا الانحدار !

٣٩ – ومما يؤسف له ويدمى القلوب أننا نرى التهافت والاندفاع فى طريق هذا الانحدار أكثر وأشد من إقبالنا على ما نراه فى الغرب من أعمال بناءة وأخلاق طيبة ومحمودة ، فنجد التهافت على تقليد المجتمع الغربى فى مباذله ، ومفاسده القاصمة للظهور ، والمخالفة لديننا وتقاليدنا ومصلحتنا على حين لا نقلد مظاهر الجد والعمل والابتكار والإتقان الذى يبدو فى الغرب ويطلبه منّا ديننا ، وهذه مصيبة يجب أن نتخلص منها سريعا ، فإن الغرب برغم ما فيه من مظاهر الجد – يصيبه هذا التمزق الداخلى الذى ينذر بشر قريب ، وصدمة له لابد آتية ، فلنأخذ حلوه ، ولنترك مره !

ولكنا نجد بيننا أصواتا تحاول أن تجردنا من حصوننا وفضائلنا التى لا تزال آثارها باقية فينا ، برغم ما نحن عليه من تخلف فى العلم والصناعة

والعمل الجدى المثمر ، لتجتمع فينا الخستان كما يعبر علماء المنطق !

ولا أدرى بأى منطق أو عقل أو دين أو ضمير نطلب ويعمل إخوان لنا أن نلحق بالغرب فى مباذله ، ويبثوا فى شبابنا التمرد على ما بقى فينا من دين وفضائل ؟

بأى عقل وبأى ضمير يطلبون منا أن نقر الاختلاط الجارى الآن على النسق الأوربى بل نزيده ونيسره لأبنائنا وبناتنا ، ونزيل السدود أمامهم ؛ كى يفعلوا ما يشاءون ، كعلاج لمشاكل الشباب ؟

إن مجتمعنا لا يزال مجتمعا متخلفا فى أشد الحاجة إلى تجميع مقومات النمو والنهضة والتقدم ، فى حاجة لجهد شبابه ، فكيف نستورد له أمراض الغرب القوى الناهض ونرميه بها ؟ كيف نعمل على تجريده مما بقى له من فضائل ؟

٤٠ – إن الرافضين أو « الهيبيز » قد نبتوا هناك فى مجتمعات الترف والقوة والبطش بدول العالم الصغيرة والضعيفة ، ليحاربوا – كما يدعون – الترف والقوة والبطش بالضعفاء فى العالم وامتصاص دمائهم – فرفضوا أساليب مجتمعاتهم ، حتى رأيناهم يؤثرون العيش فى القذارة ، والتسكع ، ويحطمون القوانين ، ويهيمون على وجوههم فى كل مكان ، وهم فريسة للقلق والحيرة والاضطراب النفسى ، ، لا يعرفون طريقا إيجابيا ، ولا يعرفون تماما ما يريدون ، لكنهم رافضون متمردون على مجتمعهم ، وهؤلاء مع كثرتهم أو قلتهم

يشكلون خطرا على المجتمع بنظرتهم المتمردة عليه ، وحرمانه من أى عمل إيجابى لهم ، بل محاولة هدمهم له ، مما جعل الكثيرين من مفكرى الغرب يعتبرونهم ظاهرة مدمرة لمجتمعهم ، وعلى رأس هؤلاء المؤرخ العالمى المعروف « **أرنولد توينبى** » ووجدنا الكاتب الفرنسى « **جيل لابوج** » يؤيد الرأى القائل بأن هناك مخططا تحركه يد قوية غامضة ربما لم يستطع أن يقول صهيونية ، وهذا المخطط يسخر شركات الأسطوانات والمغنيات فى الكهوف الليلية ، كى يوجهوا الفتيان والفتيات تلك الوجهة المائعة الساحقة الخارجة على المجتمع ، حتى يشغلوا أهل المدينة باللغط فى هذا الموضوع ، فلا يتقصوا الأعمال الأخرى ، التى تمس الأمور الجدية ومصائر الناس ، وحتى يصرفوا الشباب بصفة خاصة عن جلائل الأمور ، فى السياسة والاقتصاد ، مكتفين بالحياة البوهيمية الرخوة[١] .

وإذا كانت هذه هى ظروف نشأة الهيبيز هناك وهذه هى نظرة عقلاء مفكرى الغرب إليهم فكيف يرضى شبابنا أو نرضى لهم أن يقلدوهم ويسيروا معهم وهم شباب الدول الضعيفة ، المظلومة ، المتخلفة ، التى تحتاج إلى جهد أبنائها وجدهم ووقتهم ، لتنهض وتقوى ، وتقف على قدميها ، وتدفع عنها الظلم والاستغلال من الدول القوية المتقدمة ؟

أليس هذا زرعا لجراثيم المرض فى الجسم المريض ، للقضاء على كل

---

(١) نقلاً عن دراسة اللأستاذ كمال سعد نشرتها مجلة الأيام (أبوظبى) فى ١٥ مارس سنة ١٩٧٥ تحت عنوان « ثورة الشباب » .

مقاومة للمرض باقية فى جسمه ؟ تلك دول فيها قوة مقاومة لعوامل الضعف ، ومع ذلك يصرخ العقلاء المفكرون فيها لحمايتها من عوامل الضعف على يد هؤلاء الشباب « الهيبيز » وغيرهم . .

تلك دول قويت ماديا وعلميا وصناعيا ومعيشيا ، وقد لا يضرها كثيرا أن يكون بجوار ذلك عوامل ضعف فيها كهؤلاء الشباب !

أما نحن – فكما نعرف يمثل المريض الذى يخطو إلى دور النقاهة ، ويتوكأ فى سيره . فمن الخطر الشديد عليه أن يتعرض لهزات أو تيارات ، أو عوامل تزيده ضعفا ، وتعرضه لنكسة تقربه من حافة قبره ، وتضيع كل المجهودات التى بذلت فى علاجه .

فكيف يستسيغ شبابنا .أو يستسيغ المسئولون عن تربيته وتنشئته وإعداده لتحمل دوره فى النهوض بأمته ؟ كيف يتغاضون ويسكتون عن تقليد ظواهر الضياع والانحلال والهدم فى مجتمعات الغرب ، والبشر بطبيعتهم مندفعون إلى هذا ؟ إننا فى أشد الحاجة إلى الجد والمثابرة والاستقامة والاستفادة بتجارب غيرنا فى مجالات النهوض وتخطى عهود التخلف والضعف . .

لقد كان ارتضاؤنا لتقليد الغرب فى نظرته للمرأة وإعطائها الحرية المطلقة هى والشباب أول الطريق لخلق مشاكل بيننا نحاول حلها ، فنضطر للاستيراد من الغرب أيضا لهذه الحلول ، تماما كما نستورد جهازا ، فإنه لا بد لنا أن نستورد ما يعالج مشكلاته وتوقفه بقطع الغيار ، ونسير فى

الطريق إلى نهايته . . ونتبع سننهم وطرقهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلناه وراءهم ، كما تنبأ الرسول ﷺ محذرا ومنذرا ، فهل نرضى هكذا أن نظل ذيولا وأتباعا ، وندخل وراءهم جحر الضب الخرب الذى يقتل ، ونخوض وراءهم ولو فى المستنقعات ؟ ومن يرضى لنفسه أو أمته هذا المصير أو هذا الهوان ؟ يجب أن تكون عندنا جميعا الشجاعة الكافية لرفض كل مظهر أو قانون أو تصرف يخالف أصالتنا الإسلامية وأن نكون حريصين على إعلان الولائية القلبية العملية للإسلام لا لشيء سواه .

٤١ – لكنا مع الأسف – كما قلت – نجد أصواتا قوية ، ومن بعض الذين أسند إليهم أمر تربية الشباب وتوجيههم ، ولهم كلمة نافذة ورأى مسموع – نجد هؤلاء لم يكتفوا بظاهرة الانفتاح الذى استوردناه من الغرب ، بين الفتى والفتاة ، وبين الرجل والمرأة ، ووجدوا أنه لا تزال بيننا معوقات أوصيحات تعارض هذا الانفتاح ، أوتحد من انطلاقه ، وتصوروا أن هذا يولد أو ولد مشاكل للشباب . فاندفعوا يدعون إلى أن نسير فى الطريق وراء الغرب إلى نهايته ، وندخل وراء غيرنا ، حتى جحر الضب الخرب ، ونقضى على ما بقى من تقاليد عندنا !

إن الغرب لم يعرف كلمة العيب أو الحرام التى عندنا ، فيجب أن ننبذ هذه الكلمة ولا نعرفها . يجب ألا نخوف الشباب والشابات ، بكلمة عيب أو حرام ، وإلا خلقنا فيهم العقد !

وإذا كانت قد ظهرت عندنا بعض الآثار السيئة لهذا الانفتاح فما ذلك إلا لنقص فيه ، وحدٍّ من انطلاقه ، فلنتركه ينطلق . ونعالج آثار الانفتاح بمزيد من الانفتاح .

لقد وجد الغرب أن هذا الانفتاح عنده ولد له بعض المشكلات والآثار فبدأ يعالجها بتدريس ما سماه بالثقافة الجنسية وغيرها حتى يكون الشباب على بصيرة فى مزاولة حريته ! فلنفعل مثله ، لنعالج آثار الانفتاح عندنا ، ونحل مشكلات الشباب ولا داعى لهذا الجمود !

وهنا نسأل الذين يدعوننا إلى مسايرة الغرب والجرى وراءه : هل الذى تدعوننا إليه من المزيد من الانفتاح والاختلاط ، والمزيد من تدريس الثقافة الجنسية ، وتقليد كل ما فى الغرب – قضى على مشكلات الشباب فيه ، وأعطاهم قناعة ، ومنحهم حياة الهدوء ، والاستقرار وعالج أمراضهم الاجتماعية ؟

الواقع الذى عرفنا بعضه يقول : لا ، فإن انفتاحهم لم يمنحهم إلا الكثير من المشكلات ، وطلب المزيد ، فإن الطعام يقوى شهوة النهم !

يعنى أن الذى يدعو إليه بعضنا ، ويرشحونه لحل مشكلات الشباب لم يعالج هذه المشكلات فى المجتمعات التى نقلدها ، بل زاد الطين بلة !

أفما كان الأجدر إذن قبل أن نرسل هذه الدعوة التقليدية « أعنى المقلدة » التابعة للغرب ، أن ننظر إلى حالة من نريد أن نقلدهم ونقتفى أثرهم أوالمهم أن نقلد ، ونظهر فى زيهم ، ونمشى فى ركابهم ؟

فى أيام « مودة » الملابس وفتحة العنق من الأمام ومن الخلف — وجدت سيدة أصرت على ارتداء هذه الملابس (المودة) وكان من العجيب أن هذه الفتحة كانت تكشف عن تشوه فى الجزء الذى ظهر من جسمها ، والذى كان من السهل والواجب أن تواريه وتحجبه ، ولكن كان تعلقها بالتقليد فى ثيابها أهم عندها من بشاعة الجزء المشوه المعروض من جسمها . ولله فى خلقه شئون ولنا فيه شجون أيضا :

ومثل هذه العقلية تزحف عندنا فى أمور كثيرة حتى لدى المثقفين العقلاء !

٤٢ — هل المزيد من الاختلاط عالج مشاكل الشباب فى أوربا أو زادها تعقيدا ؟

وهل التفتح الجنسى عندهم عالج مشكلاتهم أو زادها تفاقما ؟

إن تلبية نداء الغريزة تقويها وتزيدها شراهة ، والاستجابة لمطالب النفس تدفعها إلى الاسترسال فى مزيد من الطلبات ، هذه طبيعة عبر عنها شاعرنا حين قال :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فهل غابت هذه الحقيقة أو هذه الحقائق عن الذين يتصدون لتربية الشباب وتوجيههم ؟

— ثم ما هى هذه الثقافة الجنسية التى يدعوننا إليها ؟

إن القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب الفقه مملوءة بما يعتبر تثقيفا للمرأة والرجل كل فيما يختص به وفى علاقتهما بعضهما ببعض . وذلك فى نطاق تصحيح دينهما وعلاقتهما بالله ، وعلاقتهما بعضهما ببعض . وبالأسرة حولها ، وبالمجتمع كله ، مما يقربهما إلى الله ، ويقيم الحياة الطيبة بينهما ، ويطلع على هذا ويدرسه كل من الرجل والمرأة والشاب والشابة . ولكن فى نطاق الدين والوقار ، بعيدا عن جو الإثارة ، بل إنه يصحبه شيء من الحياء يمنع معرفته ، حتى اشتهرت العبارة المعروفة « لاحياء فى الدين » . .

ولو أن دعاة التفتح الجنسى ذكروا مثل هذا ماكانوا قد أتوا بجديد . ولكنهم يدعون إلى الثقافة الجنسية التى فى الغرب ، كما دعوا إلى مزيد من الاختلاط الذى عرفوه فى الغرب ، كحل للمشكلات . وهذا هو ما يجعلنى أقف لهم وأناقشهم عن مدى هذه الثقافة التى يدعون إليها كحل لمشكلة الشباب .

وقد حدثنى صديقنا الدكتور « خلدون الكنانى » وهو أحد علمائنا السوريين العرب المعروفين باهتمامهم بالتربية ، ويعمل فى هذا الحقل باليونسكو فى باريس — قال لى :

إن الانفتاح الجنسى عندهم وماترتب عليه اضطرهم لأن يبصروا الشاب والفتاة بالمسائل الجنسية والنتائج التى تترتب عليها ، فهم يحدثونهم عن اللقاء الجنسى ، وعن تفاهة البكارة ، وعن الأمراض التى يمكن أن

يصاب بها هذا أو تلك ليحذروها ، ويحتاطوا لصحتهم منها ، ثم يحدثونهم عن الحمل المترتب عليه وآثاره وإمكان التفادى منه بحبوب منع الحمل أو الإجهاض – إلخ . . وقد أباح كثير من دول الغرب الإجهاض تحت ضغط هذا الانفتاح .

والتقيت بالأخ الأستاذ (أحمد سعيد) الإذاعى المعروف وأثير الموضوع مصادفة أمامه ، فحدثنى أنه شاهد ندوة تليفزيونية فى لندن ، عما يسمى بالثقافة الجنسية ، اشترك فيها علماء متخصصون فى جوانب علمية مختلفة فتحدثوا : من أين يجىء الإنسان ، وعن الحيوانات المنوية من الرجل والبويضات وتكوينها فى الأنثى وكيفية التقائهما – إلخ ، مع عرض صور توضح ذلك كله .

فقلت لابأس من ذلك ، فالقرآن الكريم تحدث عن خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ومن نطفة أمشاج (أى مختلطة) فى معرض بيان قدرة الله ،كما تحدث عن تطورات الجنين فى الرحم « **يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** »[١] ، وعرض مثل ذلك فى آيات كثيرة ، والكتب العلمية التى تدرس للطلاب والطالبات ربما تعرضت لشىء من هذا فى

---

(١) سورة الحج/٥ .

علوم الأحياء ولم يعارضها أحد .

ثم قال : وتحدثوا عن ظاهرة عرضوها أو ناقشوها ثم رفضوها وهى ما يقرره عالم النفس اليهودى « فرويد » من أن البنت تنجذب إلى أبيها ، والولد إلى أمه بدوافع من الجنس ! . .

ثم تحدثوا عن سن المراهقة ، وعوارض البلوغ فى كل من الفتى والفتاة ، كما تحدثوا عن العذرية فى الفتاة وعن الكبت وأخطاره ، ورأى فريق منهم أن العذرية أو البكارة مجرد غشاء لاقيمة له ، ولماذا نقيد الفتاة به ، ونحرمها حقها فى الحياة ، على حين أن الشاب ليس فيه مثل هذا القيد . . فليكونا منطلقين متساويين دون إعطاء العذرية أية قيمة ، ولتأخذ البنت متعتها كما تحب ! .

ولكن فريقا من علماء الندوة عارضهم فى هذه النظرة ، فرفع اللاعذريون فى وجههم خطر الكبت على الفتى والفتاة قائلين : إن من الضرورى علاجه بفتح الأبواب والنوافذ للشباب والفتيات ، تنساب عواطفهم وغرائزهم دون حدود خوفا عليهم أو عليهن من أضرار الكبت ! . .

كما تحدثوا عن اللقاء الجنسى ، وكيف يكون مع الصور التوضيحية ، وكان ذلك شيئا مثيرا – كما يقول الأستاذ أحمد سعيد الذى شاهد الندوة فى تليفزيون لندن – اعترض عليه بعضهم ، ولم يوافق عليه .

لكن هكذا تسير الأمور ، وهذا درس أو نموذج من تدريس الثقافة

الجنسية فيه مالابأس به إذا عرض فى جو الوقار والتدين ، وفيه مايثير ويضر ويهدم القيم ، وهى مادة وجدوا الحاجة ماسة إليها لا لتصحيح دين أوعبادة ، ولكن فى ظل الانفتاح الجنسى الذى يعيشون عليه !

وهنا أسأل الذين يطرحون عندنا تدريسها متأثرين بما فى الغرب : أتريدون أن ندرسها كما يدرسونها لنتحاشى الكبت ؟ وماذا فى تدريسها من حلٍّ لمشكلات الشباب عندنا ؟ وهل تدريسها هناك قضى على المشكلات ، أو أنه قعّد الانفتاح الجنسى تقعيدا علميا طبيعيا ، وجعله أمرا هينا وعاديا ، وأعطاه الشرعية الكاملة . وعرض الوسائل الكفيلة باتقاء بعض الآثار الناتجة عنه كالزهرى والسيلان والحمل – إلخ ؟ ، كما تنشأ مستشفيات للبغايا حتى يكون للبغاء شرعية قانونية فى الدولة ! !

٤٣ – دور اليهود فى تشجيع فرويد :

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى دور العالم النفسى اليهودى « فرويد » فى إعطاء هذا الانفتاح شرعيته ، فقد أرجع كل شيء فى الإنسان إلى غريزته الجنسية ، وتحدث عن الكبت وأضراره ، مما لامجال لسرده الآن .

والغريزة الجنسية فى طبيعتها غريزة معربدة وجارفة ، فإذا جاء هذا العالم اليهودى وأعطاها المبررات لتعربد ، وجعل الحد منها أمرا غير طبيعى ينذر بالأخطار ، كان من الطبيعى أن تشتد فى عربدتها ، ويجد كل شاب وشابة فى هذه النظرية المبرر العلمى للانطلاق كل على حسب هواه

وماتيسر له .

وقد وقف كثير من العلماء ضد هذه النظرية موقفا علميا وفندوها ، ولكن لأنها تطلق للجنس العنان ، ولأن اليهود من ورائه ، ولهم مصلحة فى الترويج لمذهب فرويد ليأخذ مجراه فى تحطيم الأمم ، وجدت هذه النظرية من الرواج والأتباع أكثر مما وجدت نظرية المخالفين لها ! .

والذى يرجع لمخططات اليهود قديما وحديثا ويطلع على ماجاء فى الكتاب السرى لليهود الذى لم يعد سرا وهو « بروتوكولات حكماء صهيون » يجد فيه الكثير من نيات اليهود وتخطيطهم لتحطيم المجتمعات ، لتكون لهم السيطرة النهائية عليها ، جاء فى هذا الكتاب ص ١٦٩ ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسى . .

« يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذا كانت النتيجة إثمار ملحدين فإن المهم عندنا أخيرا هو إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا » .

ومن هذا المنطلق يقولون ص ١٢٣ :

« لاحظوا أيضا أن نجاح داروين وماركس ونيتشة قد رتبناه وصنعناه » ولهؤلاء آثارهم السيئة على الدين والقيم بصفة عامة . .

وكذلك صرحوا بأنهم فعلوا ماهو أكثر من ذلك لإنجاح فرويد وترويج مذهبه الجنسى لهدم المجتمع ، لأنه يهودى ، ولأن مذهبه فيه السموم لكل المجتمعات ! .

وقد نجح اليهود فيما أرادوا نجاحا منقطع النظير ، فرأينا الكاتبة الروائية

الفرنسية « جورج ساند » تقول فى إحدى رواياتها :

« كلما أستزيد النظر فى هذه الدنيا . وأتقدم فى تجاربها أستشعر مدى الخطأ الكبير فى أفكار شبيبتنا، فما أخطأ الفكرة القائلة ياصديقى بأن الحب يجب أن يكون مقصورا على حبيب واحد . (لا . . تاكسى . . أو شركة مساهمة ، أحسن . !) ولم أبدل رأيى ولم أصالح المجتمع . وإن النكاح (الزواج) فى رأيى لهو أفظع الطرق الاجتماعية وأكثرها همجية[1] طبعا ياست . . لأنه قيد على الحرية . حرية التمتع مع كل الناس !

وليست هذه النظرة مقصورة على الكتاب الروائيين حتى يقال : إنه رأى لأحد الشواذ الذين تعرضهم الرواية . بل إننا نجد الدعوة إليها باسم الاقتصاد ، فيكتب العالم الإنجليزى الاقتصادى « مالتوس » يدعو إليها باسم الاقتصاد ، والخوف من تزايد السكان فيقول : « ولكى نأمن هذا الخوف يجب أن نحتاط كثيرا فى الزواج ، فلانقدم عليه إلا فى سن متأخرة ، أما حاجات الشباب الجنسية فإنها تقضى عن طريق البغاء ، ثم نمنع نتيجتها . وهى الحمل . وذلك بالوسائل الطبية الحديثة ! »

نعم ! ولماذا لا يكون الزواج والعلاقة الشريفة ، ثم نمنع نتيجته بالوسائل الطبية الحديثة مثلاً كما يحصل الآن ؟ ذلك شىء لا يريده عالم الاقتصاد ، وربما كانت له نظرية لم نصل لمعرفتها . ربما . .

ويأتى عالم أوربى آخر فيقول : « الحاجة ماسة إلى اتخاذ التدابيرالتى

---

(١) العلاقة الحسية فى القرآن للأستاذ مهدى الأصفر ص ٤٩ .

تجعل الحب من غير قيد» أية حاجة هذه؟ لا ندرى . .

وكأن الحب مع العفة أمر بالغ الخطورة يجب اتخاذ التدابير لقمعه . واتقاء خطره وتحطيم كل القيود فى سبيله . والقيود هى العفة . فحب أو صداقة مع عفة . هذا خطر يجب منعه واتخاذ التدابير للقضاء عليه ! غريب ! ولكنها نظرة الحضارة الغربية !

إلى هذا الحد من الانفتاح الجنسى والدعوة الجادة للقضاء على خطورة العفة ، بلغ المجتمع الغربى وحضارته . مما جعل هذه الأمور عادية ، بل أموراً مرغوباً فيها ، ومدعوا إليها باسم العلم . والاقتصاد . واسم الإصلاح ، والقضاء على الأخطار التى تهدد المجتمع .

ولا غرابة إذن حين نجد الفتاة السويدية التى تدافع عن شباب السويد تقول فى فخر : «إن الشباب يحب ويمارس الجنس كل يوم ، ولكنه يؤدى واجبه فى العمل» . فلا تلهيه ممارسة الجنس كل يوم ، عن واجبه فى العمل ، ومادام يؤدى واجب العمل فليمارس الجنس كما يشاء :

المهم ألا يكون هناك خطر على العمل ، من ممارسة الجنس كل يوم . وحبوب منع الحمل موجودة . والإجهاض أصبح فى كثير من دول الغرب مباحا بالقانون ، واللقطاء لهم تشريع يحتضنهم . .إلخ ، ويلهث الغرب وراء التشريع لهذه الحالات وتقنينها خضوعاً للأمر الواقع ورضا به ! فلكل عمل نتيجة ولكل زرع ثمر وحصاد !

٤٤- فتاة من ألمانيا :

وإذا كانت العفة قد بلغت درجة من الخطورة إلى هذا الحد فلابد أن تقع المتمسكات بها لتزمتهن ومحافظتهن على عفتهن ، واحتفاظهن بطهارتهن ، وعدم مسايرتهن لمجتمعهن – لابد أن يصبح التمسك بالعفة ، مشكلة تطلب حلاً لها ، وهذا هو ما نشرته مجلة « بيلدزاتيونج » التى تصدر فى برلين الغربية عن مشكلة إحدى الفتيات الألمانيات التى تستنجد الصحيفة لحلها وهى كما تقول :

« إنها لاتزال تحافظ على عذريتها ، وترفض التهاون فيها مع أصدقائها ، ولكن كان زملاؤها وزميلاتها وكل من حولها يحتقرونها ويتهمونها بأنها رجعية وشاذة ! » . وقد نشرت الصحيفة صورة الفتاة وعلى عينيها شريط أسود ، كما تعمل الصحف عندنا مع من تريد التستر عليهم من المجرمين ، وعدم فضيحتهم فى المجتمع ، فهى لا تريد أن تفضح هذه الفتاة وتعرضها لسخرية المجتمع ، لأنها عفيفة ! ! تقول الفتاة :

« منذ عام ونصف العام وأنا أبحث عن صديق يرضى بصداقتى فلا أجد ، وأبحث عن فتاة عذراء تصادقنى فلا أجد ، وكلهم ينفر منى » .

وتستمر الفتاة « مارتينا » وهذا هو إسمها فى عرض مشكلتها فتقول :

« إن اهتمامى لا يختلف عن اهتمامات بقية الفتيات ، فأنا أعشق موسيقى الجاز ، والقراءة ، والسيارة الجميلة ، ولكننى أختلف عن

الفتيات ، فى أنهن يعشقن السيارات الجميلة وأصحابها ، وأنا أعشق هذه السيارات ولا أسلم نفسى لأصحابها ! وتستغيث وتستنجد :« سيدى ، إننى إذ أرسل لك مشكلتى أرجو ألا تنظر إليها نظرة استخفاف وسخرية ! » . .

وقد عنيت الصحيفة بالمشكلة ، وكتبت المحررة تعليقاً على هذه الرسالة قالت فيه ، وهذا مهم :

« إن الصحيفة إذ تنشر هذا الخطاب ، الذى وصلها من تلك الفتاة – إنما تنشره – لأنها تعتقد أنها مشكلة ، ومشكلة خطيرة تهم الآباء ، حتى يشرحوا لفتياتهم الحقائق ، ويخلصوهم من الأخطار الشاذة والعقد النفسية » . .

يعنى على الآباء أن يدرسوا الثقافة الجنسية وينوروا فتياتهم وينصحوهن بعدم التمسك بعفافهن ، وعذريتهن ، حتى لا تتعرضن لأخطار وعقد نفسية كهذه الفتاة !

ثم تقول المحررة : « وعلى الشباب أن ينظروا إلى أمثال هذه الفتاة نظرة واعية ، فيها تسامح ، وألا ينفروا منهن ، وأن يحاولوا إدماجهن فى الحياة الاجتماعية ! » .

أما بالنسبة للفتيات اللواتى يعانين مثل هذا الموقف ، فعليهن ألا يخجلن من بقائهن عذارى ! والزمن ومزيد من الاختلاط كفيل بحل مشكلتهن .

ومشكلتهن تمسكهن بالعفة ، وهذا شيء يدعو للأسى عند هؤلاء ! – يا سلام سلم ! العفة والعذرية أصبحت مدعاة للخجل والسخرية فى المجتمع الغربى ! ياللهول ! كما يقول يوسف وهبى .

وتجد فينا مع ذلك من يدعونا للسير فى هذا الاتجاه ، وهذه هى مخاطره التى تسربت من خلال الصحف والمجلات والإحصاءات الغربية .

ذكرت إحدى المجلات الأمريكية «وبسبر» أنه فى أمريكا ١٠ ملايين من اللقطاء .

وفى إحدى مدن بريطانيا ، رفع تقرير لجمعية الشئون الأخلاقية عن وضع اللقطاء ، فكان مما جاء فيه : إن عدد اللقطاء بلغ ٥٠٪ من المواليد !

وكتبت مجلة تايم الأمريكية تقول : «إن العذرية قد فقدت أهميتها ، وعادت مسألة غير ذات أهمية بالنسبة للفتيات «طعماً» ص ٤٠ علاقة .

ودلت الإحصاءات أن $\frac{١}{٦}$ الفتيات الأمريكيات يتزوجن وهن حاملات من علاقات جنسية سابقة ! وارتفعت نسبة الفتيات اللائى وضعن أولاداً من علاقة جنسية غير مشروعة ممن تقل أعمارهن عن العشرين – ارتفعت من ٨,٤ فى الألف سنة ١٩٤٠ إلى ١٦ فى الألف سنة ١٩٦١ ولا ندرى كم هى الآن ؟ .

أما من هن فوق العشرين إلى ٢٥ سنة فنسبتهن من ١١ فى الألف إلى

٤١ فى الألف !

« وحينما أدركت « مارلين مونرو» ملكة السينما والإغراء والإثارة أن الجماهير رفعتها إلى القمة لمفاتنها ، وأدركت أخيراً أنها مجرد بائعة لذة وفتنة وقتية – ثارت على نفسها ، وانتابتها نوبة رشد ، واعتزلت السينما . وقررت أن تنتحر ، وانتحرت ، وشغلت صحف العالم بانتحارها . وكتبت تعليقات كثيرة كان منها ما نشرته الصحفية الفرنسية الكاتبة « فرانسواز جيرو» قالت :

« هذه الحضارة يجب أن تموت كما ماتت مارلين مونرو ، وكما تموت القطط والكلاب !

إن مارلين مونرو هى نحن ، ونحن – الغربيين – أصحابُ الحضارة ورواد العالم ، مارلين هى نحن ، ولكنها انفصلت عنا بجرأة حين رفضت حضارتنا ، وقررت أن تكون إنسانة ! . إننا نحن – الغربيين – لو أوتينا شجاعة « مارلين » لتحتم علينا أن نموت أيضاً ، لا بالأقراص المنومة ، بل بوسيلة أخرى ، تنسجم مع ما نحن عليه من حيوانية وانحطاط . وشهد شاهد من أهلها !

ومع ذلك نجد بيننا من تتسمر عيناه ، وتقف عقارب فكره ، على هذه الحيوانية ، وهذا الانحطاط ، ويأبى إلا أن يستورد لنا ، ويأبى إلا أن يدعونا للرقص على الدقات والأنغام الآتية لنا من بعيد من الغرب ! .

وتصيب صحفنا عدوى هذا الانحطاط البشرى فتنشر مجلة

روز اليوسف حديثاً مع السيدة كوليت خورى المسيحية اللبنانية حينما وجه الصحفى لها هذا السؤال المنفتح جداً :

إذا وقعت فى الحب ، فهل تسلمين نفسك لحبيبك ؟ فسارعت هى تقول : نعم وبلا تردد !

وكأنما هى والصحيفة والسائل ، ولا ندرى هويته ، وإن كانت الهوية الغالبة على محررى روز اليوسف ، حينما نشر ذلك ، مشهورة ومعروفة – كأنما ذلك كله فى بلد غربى غير إسلامى ! ويقرأ شبابنا وبناتنا المسلمات المراهقات هذا الكلام ، وتتولى هذه المتبذلة المسيحية اللبنانية ، دعوة مجتمعنا للانحلال ، وهى رائدة هناك فى هذا المضمار ! أليست تقلد الغرب المتمدين ، وعيون القانون مغمضة ؟

ولكن نحمد الله على أن المسألة لم تمر ، فقد نشرت جريدة الجمهورية تعليقاً مُراً على هذا الكلام الداعر ، فى تاريخ ١٦/٩/١٩٦٠ ، ومع ذلك عادت روز اليوسف إلى مثل هذا سنة ١٩٧٦ فى تحقيق لها عن طالبات الجامعة بمناسبة عام المرأة ، وكان لى موقف معها ومع المسئولين عنها ، دعا أحدهم لمهاجمتى ، وللإنصاف ذكر لى الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى أنه غير راض عما نشر ولا يقره ، لكنه نشر !

وأعتقد أنه ما دمنا قداستحسنا الاستيراد للفكر والتقاليد من الغرب ، كما نستحسن وارداته الصناعية ، وما دام مجتمعنا فى أكثر أو غالبية البلاد العربية قد تقبل الاختلاط بين الجنسين وفى ظل هذا

الانفتاح ، وعلى مستوى مودات الملابس والماكياج – إلخ – فإن الكلام فيه من حيث المبدأ عند هؤلاء المستغربين ، أصبح غير ذى موضوع ، وقد فات أوانه ،إنما الكلام عندهم الآن على الخطوة الثانية ، التى سمعنا الدعوة إليها ، وهى المزيد من الاختلاط والانفتاح !

ولا أتصور مزيداً من الاختلاط الذى يدعون إليه ، إلا التلاحم بين الجنسين كما فى الغرب ، ويردد هذا بعض المسئولين عن الشباب فى بلادنا العربية ، وهذا هو الخطر على مستقبل شبابنا ، ومستقبل بلادنا ، ومستقبل ديننا ومجتمعنا .

ومع ذلك فإن كل هذا الأمر الواقع ، لا يزرع فى قلوبنا اليأس ، ولا يسكت صوتنا الذى نرفعه عالياً ، باسم ديننا ومقوماتنا ، وأصالتنا ، لنقول لهم :

إن الذى أنتم فيه خطأ وإثم كبير ، يجب تبديله !

إن الطريق الذى تسيرون عليه خطر ، يجب أن ترجعوا عنه ، لابد أن تعدلوا مسيرتكم ، وتعودوا إلى أصالتكم ، فإن الذين تندفعون وراءهم لم يجنوا إلا الشوك والمر !

صحيح أن موجة الاختلاط المتعرى المثير عاتية ، والنفوس مستحسنة لهذا جرياً وراء شهوتها ، ويغلفون ذلك بأساليب أخرى ، ويقولون : إن عجلة الزمان لا ترجع للوراء ، ولكنها تمضى للأمام دائماً ، ولو كان ذلك صحيحاً ما حصلت أمة مستعمرة على استعادة حريتها ، وما قضينا على

فساد أو ضعف ، بل كنا استسلمنا لتيار الاستعمار والضعف – إلخ ! . .

وإننا نقول : إننا نريدها للأمام ، ولكن فى ثوب جديد ، يحوطها بالصيانة ، حتى لا ترتطم وتتحطم بمن يركبونها ! نحن نريد أن نؤمن المسيرة ، ونحافظ عليها من التفتت والحيرة والضياع . .

٤٥ – إنا نسمعهم يقولون حين يلقنون الشباب والشابات بعض المبررات للواقع : إن الاختلاط يتيح للفتاة والفتى أن يتعرف كل منهما على الآخر ! حسناً ، ولكن هل يلزم ذلك أن يكون فى ظل الانفتاح والاختلاط المتعرى الممكيج ، وفى ظل ما يسمونه حرية ؟ .

ويقولون : إن الاختلاط يولد المنافسة بين الفتى والفتاة ، حسناً ، ولكن هل يتحتم أن تكون هذه المنافسة فى ظل هذا الاختلاط المتعرى الممكيج وفى ظل الحرية المستوردة ؟

ويقولون : إن الاختلاط والمزيد منه يكسر حدة الغريزة ! ، وهذا شيء لا نفهمه من واقع طبيعتنا البشرية ، ولا من الذى يجرى فى الغرب ؛ فالاختلاط على هذه الصورة المتعرية الممكيجة يهيج الغرائز ، ويجعلها تطالب بالمزيد ، ورحم الله الإمام البوصيرى وهو يقرر هذا الواقع وهذه الحكمة حين يقول : « إن الطعام يقوى شهوة النهم » .

ويمدون أعناقهم أكثر ، ويقولون : إن المرأة فى صدر الإسلام كانت تخالط الرجال ، وتخرج معهم للأسواق وفى الحروب – إلخ .

ونقول نعم ، ولكن قف هنا ، إنك تستشهد بالإسلام وأحكامه

وبواقع المجتمع المسلم . . إذن فلنحتكم دائماً إليه . .

المرأة كانت تختلط فى الحرب والأسواق وغيرها أيام الرسول وبعده . هذا مسلّم به ، ولكن كانت على أىّ وضع تختلط ؟ لا نريد أن نقرأ : « لا تقربوا الصلاة » ونسكت ، أو : « ويل للمصلين » ونسكت ، بل لابد أن نكمل . . إذا كنا عقلاء : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » وهكذا تستقيم الأمور وتتضح .

ونكمل أيضاً الشاهد عن المرأة المسلمة واختلاطها أيام الرسول وبعده فنقول :

نعم كانت تختلط ، ولكن وهى تلبس ملابسها التى حدد القرآن « **موديلها** » :

« **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » أى على صدورهن حتى لا تظهر مفاتنها للرائى ! فيأتى الخمار من على الرأس إلى العنق والصدر ، ويترك الوجه مكشوفاً ، وكان سبب النزول — أن النسوة كن يلقين خمارهن للخلف ، فيظهر الصدر والعنق ، فنزلت الآية تعلمهن . ويقول الله فى هذا : « **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً** » فإذا أضفنا الحديث « إن المرأة إذا بلغت المحيض فلا يجوز أن يظهر منها إلا هذا وهذا » ، وأشار للوجه

والكفين – عرفنا الموديل الإسلامى الذى يظهر شخصية المرأة المسلمة . .

فهل التزمت بناتنا ونساؤنا هذا الموديل الإسلامى ، أو تركنه واستبدلن به الموديلات الواردة من الغرب المستمدة من نظرته للمرأة ، وضرورة إبراز مفاتنها ، وعرض جمالها ومغرياتها ؟ .

ولقد كانت المرأة المسلمة على ثقافة بدينها ، وخشية من ربها ، وأداء لواجباته ، فكانت تختلط ومعها حماية داخلية تحميها من الهواجس النفسية والنزوات الشيطانية ؟ .

هذه هى حال المرأة المسلمة التى كانت تختلط ، وتستشهدون بها على ما تريدونه اليوم وتحاولون أن تقيسوا عليها ، فهل القياس سليم ؟

لو أن المرأة أو الفتاة المسلمة وفرت لنفسها هذا الجو ما كان هناك اعتراض من أحد على غشيانها مجالس العلم ، وأماكن العبادة والعمل :

فالاختلاط على هذه الصورة الإسلامية من حيث المبدأ لا كلام فيه ، ولا نزاع عليه .

ولكن الاعتراض والنزاع إنما حدث لأجل الصورة المنافية للإسلام وآدابه ، التى تظهر بها الفتاة والمرأة ، وتغشى المجتمعات الآن ، وتكون إثارة متنقلة للشباب والرجال ، وشاغلة لهم عن الانصراف لعملهم ؛ مهما ترددت عليهم وخالطتهم ؛ فإن نهم الجنس كنهم الجوع ، إن خمدت ناره وقتاً فهى تشب بعد ذلك وتحتد ! والجائع الذى يملأ بطنه لا يهمه الطعام لوقت محدود ، ثم لا يلبث أن يصرخ فى بطنه نداء الجوع

وطلب الطعام ، ولا سيا إذا وقع نظره على طعام شهى لذيذ أو شم رائحة الشواء فيسيل لعابه ! وكذلك الغريزة الجنسية إن سكنت وقتاً ، ثارت وعربدت وقتاً آخر ، ثم إن هؤلاء شباب والغريزة فيهم متأججة . .

٤٦ – وأمامنا مع ذلك شواهد من واقع الغرب المختلط المنفتح – الذى تريدون تقليده – فإنه بالرغم من الحرية المفتوحة للشباب والشابات هناك فإن الغريزة زادت ضراوتها واشتد فتكها ! فقد أذاعت وكالة رويتر برقية جاء فيها :

« حاول طلبة جامعة جورجيا الأمريكية اقتحام عنابر النوم الخاصة بالطالبات للمرة الثانية ، وقد اعترض البوليس طريقهم ، فثاروا ، وقاموا بمظاهرة » تصوروا ! ثاروا وقاموا بمظاهرة بدلاً من أن يفروا ويهربوا ! ولماذا لا يتظاهرون ، والذى يعملونه صار بعض حقهم فى الحرية المفتوحة ؟

ومن أمريكا أيضاً : قام مائتا طالب من جامعة متشيجان الأمريكية بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٥٨ ، بحملة على عنابر نوم الطالبات فى أثناء نومهن ، وقد أخذ الطلاب فى الجامعات والمدارس الأميريكية الأخرى ، يقومون بحملات مماثلة ، وقد درس العلماء هذه الظاهرة ، وكانت نتيجة الدراسة ، أن جعلوا الحق فى جانب الشبان الأمريكيين لشيوع الإثارة الجنسية العنيفة فى حياة الشباب ! أى أن الشبان الأمريكيين لم تشبع غريزتهم بالاختلاط ، وبالحرية الجنسية المفتوحة أمامهم ، فطلبوا المزيد

منها ، بهذه الصورة التهجمية ، وهم معذورون بحسب التحليل الذى قام به العلماء ، لشيوع الإثارة الجنسية العنيفة :

ألم يقل البوصيرى حكمته : إن الطعام يقوى شهوة النهم .

وكتبت مجلة إيرانية نقلاً عن معلومات أمريكية تقول :

« لقد أدت المدارس المختلفة بأمريكا إلى نتائج سيئة ؛ فقد انهمك الفتيان والفتيات فى المغازلة والملاحقة ، وممارسة العلاقات الجنسية . وأدى ذلك إلى انصراف الطلبة والطالبات عن المناهج الدراسية بشكل عام ؛ ولذلك صمم علماء التربية على فصل مدارس البنين عن البنات ، فى الابتدائى والثانوى ، ولم تكن الجامعات من اختصاصهم حتى يمدوا إليها بحثهم وتوصياتهم !

وكتبت جريدة المصرى التى كانت تصدر فى القاهرة تحت عنوان « نقطة بوليس بكل مدرسة » فى نيويورك ، قالت :

« ازدادت موجة الانحلال فى أمريكا بصورة مفزعة ، وأصبحت المدارس والمعاهد مرتعاً خصباً للشذوذ الجنسى ، وتحول التلاميذ والتلميذات ، إلى مدمنى خمر ، وسفاكى دماء : المسدسات والمدى والسكاكين فى جيوب الطلبة ، حتى قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم طلاب المدارس فى نيويورك ، وأوصت بتعيين رجل من رجال البوليس فى كل مدرسة بصفة مستديمة ! » وقد أبدى بعض رجال القضاء مخاوفهم من احتمال انسياق رجل البوليس مع الطلاب

والطالبات فى صخبهم الذى لا يعترف بحدود !

ويقول القاضى الأمريكى (لندس) : إن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل تخرجهن ، وترتفع النسبة كثيراً فى التعليم العالى !

وبعد هذا – وهو قطرة من بحر – أقول للذين يؤثرون الاختلاط المتعرى الممكيج ويطالبون بمزيد منه ومن الانفتاح ، ويبررون كلامهم بأن هذا الاختلاط يكبح جماح الغرائز ، ويجعل العلاقة بين الفتى والفتاة شبه طبيعية أو طبيعية – أقول لهؤلاء : ما رأيكم فى هذه الظواهر ؟

أكان لدى هؤلاء كبت وفصل للجنسين ، أم اختلاط وحرية ؟ ومع كل هذا يحدث مثل هذا وهو قطرة من بحر !

إن الاختلاط بالعرى المألوف ، ودون أية ثقافة دينية أو تربية إسلامية أو تربية للوازع الدينى والخلقى فى النفوس ، إنما هو وضع للنار بجوار البنزين ، ولابد من الاشتعال ، وهو ما لا يمكن أن نقره .

الاختلاط من حيث المبدأ فى ظل الآداب والتربية الإسلامية أمر لا معارضة فيه ، ولكن فى ظل الصورة الحاضرة المجلوبة من الغرب أمر مرفوض تماماً ، وكل دعوة إليه هدم للإسلام وآدابه ، وهدم لأسس المجتمع الفاضل المتماسك . إننا نحن الذين أسأنا إلى أنفسنا وإلى أبنائنا وبناتنا وإلى ديننا أولاً ، وخلقنا بذلك لأنفسنا المشاكل ، وذلك حين أهملَت التربية الخلقية الدينية فى البيت وأهملناها كذلك فى المدارس والجامعات ، وسلطنا على أولادنا كل عوامل الإثارة والهدم فى الإذاعة

والتليفزيون ، والشارع ، والحفلات ، والسينما ، والصحافة ، وزدنا على ذلك رضاءنا بظهور بناتنا ونسائنا بمظهر الكاسيات العاريات المثيرات المغريات كالسلعة المعروضة فى الفترينات !

ولا أعتقد أن إنساناً عنده شيء من العقل والحكمة يطلب منا أن نقر الاختلاط فى ظل هذه الظروف كلها ، ونسير وراء مظاهر الحضارة الغربية ونحن معصوبو العيون إلى الهاوية !

٤٧ – من المسئولون عن الآداب العامة ؟

إن الجيل القديم – جيل الآباء ، والمربين ، والمسئولين عن المدارس ، والجامعات ، والصحافة ، والتليفزيون والسينما ، هؤلاء جميعاً جناة فى حق الجيل الجديد ، ومن الغريب أن نجد هؤلاء يشكون من حال أولادهم وحال الجيل الجديد ! فلمن تشكون إذا كنتم أنتم المسئولين ؟

إن من حق الجيل الجديد أن يصرخ فى وجه الجيل القديم جيل الآباء : لا تلومونا ولوموا أنفسكم ، لا تحاسبونا قبل أن تحاسبوا أنفسكم ، نحن صنع أيديكم ، نحن نتاج تربيتكم ، أنتم المسئولون عما نعانيه وتعانونه منا والحل فى أيديكم .

وكم أتمنى أن يقوم شبابنا بالثورة على هذه الأوضاع التى تبعدهم عن أصالتهم وحضارتهم ، ويمثلون فى الشرق جبهة الرفض ضد تسرب كل الأوضاع والتقاليد الغربية السيئة إلى مجتمعنا ، إنهم لو فعلوا لكانوا شباباً أصلاء ، أولاد أصل حقيقة واعين لمستقبلهم ، فيعملون بذلك ومن الآن

وفى وعى واتزان على تطهير مجتمعهم ومستقبلهم من عوامل الميوعة والهدم ، ويحافظون على حضارتهم الفاضلة .

وقد رأيت فى إستامبول سنة ١٩٦٩ جبهة رفض نسائية تتزعمها السيدة « شعلة » — ورفضها قائم على رفض كل الملابس والماكياج الغربى والتقاليد الغربية والحرص على التزيى بالزى الإسلامى ، حتى إننى رأيت فى بيتها امرأة ألمانية مسلمة تتزيا بالزى الإسلامى مثلها .

وانتشرت هذه الجبهة وقويت برغم معارضة السلطات لها ، وسر قوتها إيمانها بتعاليم دينها السمحة دون تطرف أو تزمت ، فجذبت لدعوتها الرجال والنساء معاً

كلمة أخيرة

لعلنا بعد هذا العرض السريع المختصر ندرك الفرق بين حضارتنا وحضارتهم ، ونقتنع بتفوق حضارتنا التى قامت على أسس الدين والأخلاق ، ونؤمن إيماناً عميقاً بأن جهودنا كلها يجب أن تركز لبعث حضارتنا الفاضلة ، وبناء نهضتنا عليها ، فمن الخطر أن نستعير من حضارة غريبة عنا ما يخالف روح حضارتنا واتجاهاتها .

« **فالإسلام** – بخلاف سائر الأديان – ليس اتجاه العقل اتجاهاً روحياً يمكن تقريبه من الأوضاع الثقافية المختلفة ، بل هو فلك ثقافى مستقل ، ونظام اجتماعى واضح الحدود ، فإذا امتدت مدنية أجنبية بشعاعها ، وأحدثت تغييراً فى جهازنا الثقافى كما هو الحال اليوم – وجب علينا أن نتبين لأنفسنا إذا كان الأثر الأجنبى يجرى فى اتجاه إمكاناتنا الثقافية أو يعارضها ، وهل يفعل فى جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدد للقوى ، أو فعل السم ؟ »(1).

هذه رؤية مثقف غربى عاش عمره فى الغرب ، ثم اتجه للشرق ولدراسة الإسلام وحضارته ، وأسلم بعد اقتناع ، ومن هنا تجىء رؤيته

(1) من كتاب « الإسلام على مفترق الطرق » ص ١٦ لمؤلفه المستشرق « ليوبولد فايس » الذى أسلم وتسمى باسم « محمد أسد » والكتاب تعريب الدكتور عمر فروخ . .

لكِلتا الحضارتين واضحة ، وحكمه عليهما دقيقاً ؛ ولهذا أوثر أن أضع أمامك بعض هذه الرؤية يقول :

● « مادام المسلمون مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على أنها القوة الفريدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ! » .

● ويقول : « إن[1] التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ، ستفضى حتماً إلى زعزعة إرادتهم ، فى أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم ، على أنهم هم ممثلو الحضارة الإلهية الخاصة ، التى جاء بها الإسلام ، وليس ثمة من ريب فى أن العقيدة الإسلامية آخذة فى الاضمحلال بسرعة بين « **المتنورين** » الذين نشئوا على أسس غربية ! » .

● « الشىء الوحيد الذى لا يستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية ، إنهم لا يستطيعون أن يتمنوا – لو أرادوا أن يظلوا مسلمين – أن يستبدلوا بحضارة الإسلام الروحية تجارب مادية من أوربا »[2].

● « إن تقليد المسلمين – سواء أكان فردياً أم جماعياً – لطريقة الحياة الغربية لهو بلا ريب أعظم الأخطار التى تستهدف لها الحضارة الإسلامية »[3].

---

(١) المصدر نفسه ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ٧٧ .

● « **إن السطحيين** من الناس فقط ليستطيعون أن يعتقدوا أنه من الممكن تقليد مدنية ما فى مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا فى الوقت نفسه بروحها ، إن المدنية ليست شكلاً أجوف ولكنها نشاط حى ، وفى اللحظة التى تبدأ فيها بتقبل شكلها تأخذ مجاريها الأساسية ، ومؤثراتها الفعالة تعمل فينا ، ثم تخلع على اتجاهنا العقلى كله شكلاً معيناً ، ولكن ببطء ومن غير أن نلحظ ذلك ، ولقد قدر الرسول ﷺ هذا الاختيار حق قدره حينما قال :

« **من تشبه بقوم فهو منهم** »[1].

● « إذا حاكى المسلم أوربا فى لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يتكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية ، مهما تكن دعواه التى يعلنها ، وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية فى مقاصدها العقلية والبديعية من غير إعجاب بروحها ، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الدينى وتبقى بعد ذلك مسلماً صحيحاً »[2].

● « إن هذا لا يعنى أن المسلمين يجب أن يصموا آذانهم عن كل صوت يأتى من الخارج ، فإن أحدنا يستطيع دائماً أن يتقبل مؤثرات إيجابية جديدة من مدنية أجنبية ما ، من غير أن يهدم مدنيته ضرورة ، والنهضة الأوربية أحسن مثل فى هذا الباب ؛ فقد رأينا كيف أن أوربا ، تقبلت

---

(١) ص ٨٠ – رواه أحمد وأبو داود .

(٢) ص ٨١ .

المؤثرات العربية ، فيما يتعلق بالعلم وأساليبه عن طيبة خاطر ، ولكنها لم تقبل المظهر الخارجى ولا روح الثقافة العربية قط ، ولم تضح باستقلالها العقلى أو البديعى على الإطلاق » .

● « ولكن العالم الإسلامى وبه ميل متزايد إلى محاكاة أوربا ، وإلى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية – يقطع بالتدريج تلك الصلات التى تربطه بما فيه . وهو من أجل ذلك لا يفقد شيئاً من مركزه الثقافى فحسب ، بل من مركزه الروحى أيضاً ، إنه يشبه الشجرة التى كانت قوية حينما كانت جذورها بعيدة الغور فى الأرض ، ولكن الميول للمدنية الغربية أزالت التراب عن جذورها ، فأخذت هى تنحل ببطء لفقد الغذاء ، فسقطت أوراقها ، وذبلت غصونها ، ولكن عند أسفل جذورها يبرز الخطر الذى يهددها بالسقوط »[١].

● وأختمُ هذه الفقرات المعبرة بالفقرة التى ختم بها فصله « **عن التقليد** » **قال**[٢] :

وفى هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة ، والتيارات الثقافية المتعارضة – لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف ، لقد انقضى نومه السحرى الذى دام أجيالاً ، فيجب أن ينهض أو يموت ! » .

● « إن المشكلة التى تواجه المسلمين اليوم مشكلة مسافر وصل إلى مفترق

---

(١) ص ٨٢ .

(٢) ص ٨٣ ، ٨٤ .

طرق ، إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه ، ولكن هذا يعنى أنه سيموت جوعاً ، وهو يستطيع أن يختار الطريق التى تحمل فوقها هذا العنوان : **نحو المدنية الغربية** . . ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد ، أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التى كتب عليها « **إلى حقيقة الإسلام** » إن هذه الطريق وحدها هى التى تستميل أولئك الذين يعتقدون ماضيهم ، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى » .

« **فأى طريق نختار لأنفسنا ؟** »

ولعل من المفيد أيضاً أن أضع بجانب رأى المستشرق الذى أسلم — رأياً آخر له وزنه عن الحضارة الغربية وتأثيرها السام فى الحضارات الشرقية الأصيلة ، وهو رأى « **المهاتما غاندى** » الزعيم السياسى والفكرى للهند ؛ حتى لا نتهم بأننا نتكلم بروح العصبية ، أو أننا مصابون بضيق الأفق والتأخر كما يحلو لبعض « **المستغربين أو المتمركسين** » أن يتهموا به كل داع للأصالة !

لقد تحدث « **المهاتما غاندى** » طويلاً عن الحضارة الغربية وتأثيرها السام فى كتابه « **حضارتهم وخلاصنا** » ، ولكننا نكتفى هنا ببعض فقرات مما قاله ، يقول :

● « **الحضارة الحديثة ليس لها من الحضارة سوى الاسم ، فإنها فى الواقع تدفع أوربا إلى الهلاك يوماً فيوماً** » .

● « إذا كتب على الهند أن تقلد بريطانيا فأنا متيقن أنها ستسير حتماً إلى الهاوية ! » .

● « كثيرون من الرجال الإنجليز رفضوا إطلاق اسم حضارة على ما يحمل دون وجه حق هذه التسمية ، والكتب التى تبحث هذا الموضوع كثيرة ؛ حتى إنه تأسست جمعيات ، هدفها إنقاذ البشرية من الويلات التي ألحقتها بها الحضارة الحديثة ! وأصدر أحد الكبار المفكرين الإنجليز كتاباً يسترعى النظر إلى هذا الموضوع جعل عنوانه « **الحضارة أسبابها وطرق علاجها** » وهو يعتبر فيه الحضارة كأى مرض من الأمراض » .

أمَّا لماذا نجهل ذلك ؟ فيجيب غاندى :

لسبب بسيط جداً هو أنه من العسير إيجاد أناس يقنعون بحجج تهمهم ، ثم يروجونها بين الناس للاطلاع عليها ، لقد أسكرت الحضارة الحديثة معظم الناس ، وشغلتهم عن الكتابة ضدها ، بل بالعكس دفعتهم إلى التفتيش عن الوقائع والمستندات التى تدافع عنها ، وهم ضدها ، بل بالعكس دفعتهم إلى التفتيش عن الوقائع والمستندات التي تدافع عنها ، وهم إنما يفعلون ذلك آلياً وبدون تفكير ، لاعتقادهم أن ما يفعلونه هو الصواب عينه ، والرجل الذى يحلم يعتقد نفسه فى يقظة ولا يشعر بخطأ اعتقاده إلا بعد أن يصحو من غفوته ، وكذلك الإنسان الذى يعيش فى جو الحضارة الحديثة !

● إن الأناس الذين يعتنقون مبادئ هذه الحضارة ، ويعيشونها ، يتوفر

لهم المستوى الحياتى – المادى الذى يريدون ، وهو ما يسعون إليه فى الحياة ، وهذه الحضارة لا تهتم بالدين والأخلاق ، ومعتنقوها يصرحون هادئين بأن الدين ليس من شأنهم ! ويذهب بعضهم إلى القول بأن الدين ما هو إلا اعتقاد باطل وهمى وخرافى ، على حين يتستر بعض آخر وراء الدين للتحدث عن الأخلاق ، ولكن تجارب السنين التى مررت بها تجعلنى على يقين تام من أن ما يُلقّن على أنه أخلاق ، يبطن الكثير من البذاءة والخلاعة ؛ إذ أنه لا يوجد أثر للدعوة للتحلى بالأخلاق ، والحضارة التى تسعى لرفع المستوى المادى للحياة ، تفشل يائسة فى هذا الحقل ، هذه الحضارة إنها الإلحاد بعينه ، وسيطرتها على الأوربيين تجعلهم فى نظرنا كأنهم أنصاف مجانين ، وهم يعاقرون الخمر ، لتبعث فى أجسامهم بعض الحرارة والحيوية ، وتنهك قواهم فى البحث عن السعادة فى الوحدة والنساء اللواتى يجب أن يكنّ ربات البيوت ، يتسكعن فى الشوارع ، أو يغنين فى المصانع سعياً وراء دريهمات قليلة ! » .

● « لقد وصلت هذه الحضارة إلى درجة لم يعد علينا معها سوى الانتظار بصبر ؛ لنراها تقضى على نفسها وتنهار كبيت من الورق المقوى أمام النار ! وهى على حسب تعاليم النبى محمد حضارة شيطانية والتعاليم الهندوسية تسميها العصر الأسود المظلم » .

« إننى مقتنع بأن الذى سحق الهند ليس الإنجليز ، وإنما الحضارة الحديثة ، وهى تئن تحت ثقل هذا الوحش المخيف ! إن الدين عزيز

على ، وإذا كان هناك ما آسف له فهو كون الهند قد ابتعدت عن الدين ، وتردت فى الكفر والإلحاد ، وأنا هنا لا أقصد الديانة الهندوسية ، أو الإسلامية ، أو الزوروسترية بل التى تجمع هذه كلها ، إننا الآن ندير ظهورنا إلى الله » .

● إن نتائج الحضارة قتالة ؛ فهى تجذب الناس إليها لتقضى عليهم ، كما تقضى النار على الفراشات ، إنها تبعدهم عن الدين مقابل النزر اليسير من مباهج هذه الدنيا ، إن الحضارة تخدعنا ، وهى تمتص دماءنا ، وعندما تنكشف لنا خفاياها ، يتحقق لدينا أن المخاتلات الدينية ليست شيئاً يذكر أمام ما يحيط بالحضارة الحديثة من تمويه وخداع ، إننى لا أريد أن أدافع هنا عن المخاتلات الدينية ، لأننى من الداعين لمحاربتها بقوة للقضاء عليها ، ولكن ذلك لا يتم عن طريق احتقار الدين ، بل على العكس ، بتقديره والمحافظة عليه خالصاً من كل شائبة » .

● ويقول « غاندى » فى كتابه « سبيل الحق »[1] :

« لقد كنت أدرك حتى قبل أن أتولى تعليم الصغار فى مزرعة « تولستوى » — فى جنوب أفريقيا — أن المران الروحى ناحية قائمة بذاتها ، ذلك أن تربية الروح تستهدف تكوين الخلق السليم ، وتساعد صاحبها على تحقيق ذاتيته ، وزيادة معرفته بالله ، ولذلك كنت مؤمناً بأن التربية الروحية ، لابد منها للشباب ، وأن كل تعليم تعوزه الثقافة الروحية تعليم

(١) ص ١٧٤ — ترجمة الأستاذ سامى عاشور.

لا جدوى منه ، بل هو تعليم قد يكون محفوفاً بكثير من الأوضار» .

إن من الضرورى للعقلاء أن يستفيدوا بالتجارب الفردية والجماعية ، والله حين قص فى القرآن الكريم قصص المرسلين والأمم السابقة قال : «**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب**» والشاعر يقول :

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما أو غدا

من لم تفده عبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى

والتاريخ البعيد والقريب يهدينا عبره ، ويعلمنا أن الإسلام حين جاء للعرب المتفرقين المتأخرين بعث فيهم قوة ، وجمع شملهم فى وحدة ، ووهب لهم سيادة وسلطانا وعزة ، وأنشأ بهم وبالأمم التى استظلت به ، وتشربت روحه حضارة فاضلة واسعة شاملة استمرت فعالة لعدة قرون ، حتى ليقول أحد كتاب الغرب[١].

«وحين نتذكركم كان العرب بدائيين فى جاهليتهم – يصبح مدى التقدم الثقافى الذى أحرزوه خلال مائتى سنة انقضت على وفاة الرسول ، وعمق ذلك التقدم – أمرا يدعو إلى الذهول حقا» .

وجاء فيه نقلا عن كتاب «تكوين الإنسانية :

«العلم أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث»

وفى مكان آخر يعلل هذه الظاهرة فيقول :

« فى الإسلام : لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ، ويتخذ

(١) كتاب «الإسلام والغرب» ص ٢٤٦ تأليف روم لاندو.

طريقا معاكسا ؛ لا ، والواقع أن الأول كان باعثا من البواعث الرئيسية للآخر»

«إن المسلم يعتقد أن كل ما فى الوجود صادر عن الله ، وكاشف عن قدرته ؛ ولذا فهو جدير بالتأمل ، ويجب أن يدرس ويعرف»

وظل مد الحضارة الإسلامية فى قوته يكتسب كل يوم أرضا جديدة ، حتى تخلى المسلمون عن توجيهات الإسلام ، فتخلت عنهم خصائصهم ، وذبلت حضارتهم ، وتأخر ركبهم ! وكان ذلك دليلا جديدا على قوة فاعلية الإسلام فى صنع الحياة .

وفى العصر الحديث وجدنا الإسلام يتقدم مرة ثانية ليوقظ أتباعه من نومتهم ، وينبههم من غفلتهم ، ويأخذ بيدهم إلى طريق الحياة من جديد .

ذلك أن النهضة الحديثة فى بلاد الشرق وبخاصة فى بلاد العرب إنما انبعثت بروح الدين وعودة المسلمين إلى التوجه نحو نبعهم الأصيل ، وتمثل ذلك فى الدعوة التى فجرها جمال الدين الأفغانى ، ووصل صداها إلى الشرق والغرب العربى على يد تلامذته وأتباعه ، وأصبحنا الآن نجنى ثمارها الطيبة فى هذه اليقظة الإسلامية والسياسية التحررية ، ولا يزال أمامنا الطريق طويلا ، فكانت صحوة على صوت الإسلام لن ننام بعدها ؛ حتى نصل إلى غايتنا مهما بدا لنا من معوقات .

وهذه حال البلاد العربية الإسلامية الآن ، وتلك حالها قبل هذه

اليقظة : نظرة عليهما ترينا الفرق الشاسع بينهما ، وتشد عزمنا ، وتقوى أملنا ، وتزيدنا إيمانا بفاعلية الإسلام وروحه فى الحياة ؛ وتزيدنا تمسكا به ، وإصرارا عليه .

هذه هى الحقيقة التى لابد أن ندركها ، ونؤمن بها ، ونعمل على هديها .

وهذه نظرة غربى من خارج المجتمع المسلم تقول :

«إن الابتعاد بالعرب عن الإسلام معناه انفصال البناء من أساسه ، وقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام ، والشيء نفسه يمكن أن يحدث اليوم» (مورو بيرجو)

إن روح ذلك كله وخلاصته أن الحضارة لابد أن تعتمد على الروح والأخلاق حتى تدوم وتعمر وتصلح ، وإلا كانت حضارة مدمرة تدمر نفسها وتدمر مجتمعاتها ؛ ومن أجل هذا نصيح فى المسلمين : عودوا إلى حضارتكم ، عودوا إلى أصولكم !

صدر من هذه السلسلة :

١ – طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ – الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ – شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ – أسس التفكير العلمي	د . زكي نجيب محمود
٥ – عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ – تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ – الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ – حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ – علم التفسير	د محمد حسين الذهبى
١٠ – المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ – تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ – شلل الأطفال	د . مصطفى الديوانى
١٣ – الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ – البطولة فى القصص الشعبى	د نبيلة إبراهيم سالم
١٤م – عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ – الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ – أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ – المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ – القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ – عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ – العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ – السيما فن	صلاح أبو سيف

٢٢ – قناصل الدول	أحمد عبد المجيد
٢٣ – الأدب العربى وتاريخه	د . أحمد الحوفى
٢٤ – المكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ – الصحة النفسية	د . سلوى الملا
٢٦ – طبيعة الدراما	د إبراهيم حمادة
٢٧ – الحضارة الإسلامية	د على حسنى الخربوطلى
٢٨ – علم الإجتماع	د . فاروق محمد العادلى
٢٨م– روح مصر فى قصص السباعى	حسن محسّب
٢٩ – القصه فى الشعر العربى	ثروت أباظة
٣٠ – العمارة الإسلامية	د . كمال الدين سامح
٣١ – الغلاف الجوى	د . يوسف عبد المجيد فايد
٣١م– محمود حسن اسماعيل	د . عبد العزيز الدسوقى
٣٢ – التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغنى حسن
٣٣ – الخلق الفنى	د . مصرى عبد الحميد حنوره
٣٤ – البوصيرى المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصى
٣٥ – التراث العربى	عبد السلام هارون
٣٦ – العودة الى الإيمان	أحمد حسن الباقورى
٣٧ – الصحافة مهنة ورسالة	د . خليل صابات
٣٨ – يوميات طبيب فى الأرياف	د . الدمرداش أحمد
٣٩ – السلام وجائزة السلام	عثمان نويه
٤٠ – الشريعة الإسلامية	المستشار عبد الحليم الجندى
٤١ – ثقافة الطفل العربى	جمال أبو رية
٤٢ – اللغة الفارسية	د محمد نور الدين عبد المنعم

الكتاب القادم

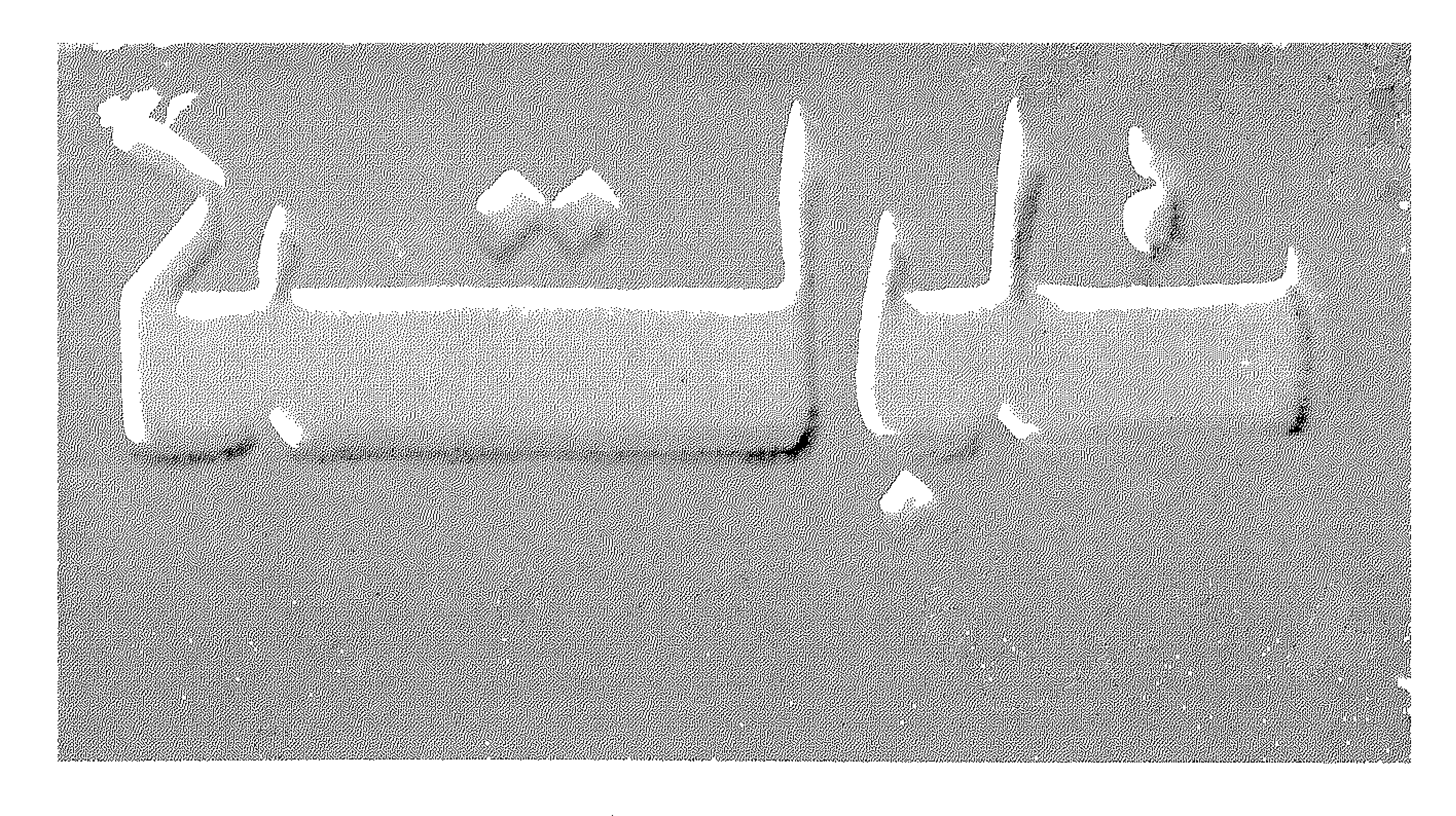
الأمثال الشعبية

محمد قنديل البقلى

رقم الإيداع	١٩٧٨/٢٦٠٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٢٣٧ - ٦

١٢/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)



هـذا الكتاب

نظرة فاحصة إلى حضارتنا وحضارة الغرب . ومقارنة واعية بينهما تؤكد لحضارتنا السبق . . كما تؤكد قيمنا العزيزة النابعة من تراثنا العربي الإسلامي ومن بيئتنا التي تختلف كثيراً بما تحمله من مقومات عن بيئة المجتمع الغربي . .

والمؤلف له دراسات متعددة في هذا المجال . . وهذه إضافة أخرى من إضافاته في تحقيق المجتمع الأفضل .